وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵎⵓⵔⵉⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵜⵉⵡⵜ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵄⵎⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴷ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES

جامعة مولود معمري- تيزي وزو
كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

الرقم
رقم الترتيب.../.../2019
الرقم التسلسلي

مذكّرة تخرج لاستكمال شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.
الفرع: دراسات أدبية.
التخصّص: أدب حديث ومعاصر.

الموضوع:

خطاب التمرد الأنثوي، ملامحه وحدوده في رواية "تاء الخجل" لـ "فضيلة الفاروق"

إعداد الطالبتين:

سعيدة شريفي

وردية باشي

إشراف الأستاذ:

د. عزيز نعمان

أعضاء لجنة المناقشة:

د. عمر بن دحمان، أستاذ محاضر "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... رئيسا

د. عزيز نعمان، أستاذ محاضر "ب"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... مشرفا ومقررا

أ. خديجة حامي، أستاذة مساعدة "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... ممتحنة

السنة الجامعية: 2019/2018

كلمة شكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذنا الفاضل "عزيز نعمان" لقبوله الإشراف على هذا البحث، وعلى ما قدمه لنا من علم نافع، وإرشاد مستمر، وما بذله من جهد ونصح من بداية البحث إلى غاية إتمامه، فله من الله الأجر، ومنّا كل التقدير والاحترام.

كما نشكر كل من ساندنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، ولكل من مدّ لنا يد العون، أو أسدى لنا معروفا، أو قدم لنا نصيحة، أو كان له إسهام صغير أو كبير في إنجاز هذا العمل.

سعيدة شريفي

وردية باشي

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى أعز إنسان على قلبي، إلى والدي، الذي أفتخر به كلما ختم اسمي باسمه،

وإلى أمي الغالية منبع الحنان والأمان،

وإلى إخوتي وأخواتي،

وإلى جميع أساتذتي الكرام، الذين لم يتوانوا في مدّ يد العون لي،

وإلى كل زملائي في قسم اللغة العربية.

سعيدة شريفي

الإهداء

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة،

أحمده سبحانه وتعالى على المبعوث، رحمة العالمين، لسيد البشرية أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أما بعد،

أهدي تخرجي إلى شخصيات ساعدتني وأخذت بيدي للوصول إلى هذا المكان، لن أقول من هم يكفي أنهم يبتسمون حين يعرفون أنهم المقصودون.

إلى كل من أسعدهم تخرجي، أصدقائي، وزملائي، وأهلي بلا استثناء، وإلى أغلى شخص على قلبي، أهديكم تخرجي، ودعواتكم بالتوفيق والنجاح نحو مستقبل مشرق حافل بالعطاء والرفاهية لبداية مسيرتي المهنية.

باشي وردية

ظلت الكتابة النسوية موضوعا للجدل في المجتمع العربي، وهذا راجع لاختلاف آراء النقّاد حولها بين مؤيّد ومعارض، واختلف المفهوم المقدم لهذا المصطلح، إذ نجد تعريفات مختلفة له.

لقد واجهت المرأة الكاتبة انتقادات كثيرة بسبب خوضها في مواضيع حساسة لم يتجرأ أحد على تناولها، ومع ذلك عرف هذا النوع من الأدب أهمية كبيرة، فبرزت فيه أسماء كاتبات محترفات ساعدنه على التطور والرقي، وأصبح للمرأة الحقّ في التعبير والكتابة.

تعد رواية "تاء الخجل" من أشهر روايات "فضيلة الفاروق"، وأكثرها ارتباطا بالوضع الأنثوي في العالم العربي عامة. وتبرز لدى القارئ، وهو يقرأ هذه الرواية بتمعن، أسئلة كثيرة يكون منطلقها العنوان الذي يوحي إلى المرأة ومكبوتاتها، وما يحول دون رقيها في مجتمعها الذكوري. وفي متن الرواية إشارات عديدة إلى أشكال القمع الممارس ضد المرأة، وفيها أيضا إظهار لردود أفعال النساء تجاه ذلك القمع، على اختلاف شخصياتها وتفاوت قناعاتها، وهو ما يمكن أن يشكل خطاب تمرد أنثوي، حاولنا في بحثنا هذا تبيّنه وإبراز تجلياته على مستوى الأحداث والشخصيات والإطار الزمكاني.

تعود دوافع اختيارنا دراسة خطاب التمرد الأنثوي لدى فضيلة الفاروق إلى ما حظيت به الكاتبة من دراسات حول تيمة الكتابة النسائية عامة، وما قوبلت به روايتها "تاء الخجل" بوجه خاص، من بحوث ومقالات ومحاضرات منتقدة لجرأتها ومعيبة عليها خوضها في مسائل تمس العرف والدين والمجتمع الأبوي. فهذه كلها حوافز دفعتنا إلى محاولة تبيّن مظاهر التمرد الأنثوي في هذه الرواية، وإظهار حدوده ومدى إسهامه في تغيير الذهنيات.

لتبيان مقومات الخطاب الأنثوي عند فضيلة الفاروق وآفاقه في روايتها "تاء الخجل" نطرح الأسئلة الآتية:

- ما هي محددات الرواية النسوية الجزائرية؟

- فيم يتجلى خطاب التمرد الأنثوي في رواية "تاء الخجل"، وكيف مثلته فضيلة الفاروق؟
- ما هي حدود ذلك الخطاب؟

قسمنا بحثنا إلى فصلين، أما الأول الذي يحمل عنوان "الرواية النسوية الجزائرية: مقوماتها وخصوصياتها"، فيتفرغ إلى مبحثين، يعالج الأول "سمات الرواية النسوية الجزائرية"، ويتطرق الثاني إلى "الرواية وتصوير الوضع الأنثوي". أما الفصل الثاني الموسوم بـ "صور التمرد الأنثوي ومداه في رواية «تاء الخجل» لفضيلة الفاروق"، فينقسم بدوره إلى مبحثين، يبين الأول "مظاهر التمرد في رواية تاء الخجل"، ويبحث الثاني في "حدود التمرد ومعوقاته".

وأنهينا بحثنا بخاتمة أظهرنا فيها أهم النتائج التي تسنّى لنا الوصول إليها.

سعينا لتحليل مدونتنا الروائية اعتمادا على بعض المفاهيم الموظفة في الأدب النسوي؛ واستعنا في تحليل التمرد وتعليله بمنهج التحليل النفسي لـ "سيغموند فرويد"، وبعض الدراسات المتخصصة في السلوك الفردي وتمظهراته في الأدب بوجه خاص.

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع الهامة التي ساعدتنا على دراسة موضوعنا، نذكر منها: "مستقبل وهم"، "حياتي والتحليل النفسي"، "الهذيان والأحلام في الفن" لـ "سيغموند فرويد"؛ و"علم النفس في ميادينه وطرائقه" لـ "علي زيعور"، وغيرها من الكتب المتخصصة.

وقد اعترضتنا عراقيل، ونحن ننجز بحثنا هذا، تتمثل في الاضطراب الحاصل في استعمال المصطلحات الخاصة بالأدب النسوي عامة، والترجمات الكثيرة التي تبقي الباحث في حالة تردد وارتباك، وتذهب منه وقتا كبيرا.

لا يفوتنا في النهاية أن نوجه الشكر والعرفان إلى الأستاذ "عزيز نعمان"، الذي كان داعما لنا ومصدرا مهما في هذا العمل، فله منا كل الشكر والتقدير. كما نوجه رسالة شكر مسبقة إلى أعضاء اللجنة الذين قبلوا قراءة هذا العمل، وعلى نصائحهم وملاحظاتهم الوجيهة.

مدخل:
مفهوم المصطلحات

تمهيد:

ظهرت الكتابة النسوية كرد فعل على الظلم الممارس على المرأة، وجاءت بمطالب عدة أهمها الدعوة إلى المساواة مع الرجل، ومحو فكرة السلطة الذكورية السائدة في المجتمع، ولقد سعت لإنشاء هوية أنثوية، لها حقوق وجب احترامها، نتجت هذه الحركات من الوعي الفكري الذي أصبحت النساء تتميزن به، وهذا راجع إلى التعليم بالدرجة الأولى الذي ساعدهن على معرفة حقوقهن والمطالبة بها.

كانت الكتابة السبيل الوحيد لتغيير ذلك الوضع الذي كان بمثابة كابوس للمرأة، والخروج من ذلك الاحتقار الذي يمارس عليها يوميا من طرف الرجل، "وهنا يمكن القول إن المرأة قررت تخطي الحواجز ودخول عالم الكتابة والإبداع الأدبي، فكانت الكتابة بالنسبة إليها فعل خلاص، بل ردا على القهر الوجودي العام الذي ظلت تمارسه عليها السلطة الذكورية، واختارت لنفسها زاوية جديدة اصطلح عليها الأدب النسوي، الأدب الأنثوي"[1]. فكانت الكتابة بمثابة سلاح تخطت به المرأة الحواجز والمعيقات التي فرضها عليها المجتمع.

تعريف المصطلحات:

1- الخطاب:

لغة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور: "خَطَبَ فُلَانٌ فُلَانًا، فخَطَّبَهُ وأَخْطَبَهُ أي أَجَابَهُ، والخِطَابُ والمُخَاطَبَةُ، مراجعة الكلام، وقد خَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً، وخِطَابًا، وهما يَتَخَاطَبَانِ،

[1] بوضياف غنية، كتابة الأنثى وأنوثة الكتابة، "أحلام مستغانمي أنموذجا"، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 09، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، جوان 2011، ص 203.

والخِطْبَةُ مصدر الخَطِيب، وخَطَبَ الخَطِيبُ على المنبر، واخْتَطَبَ يَخْطُبُ خِطَابَةً، واسم الكلام: الخُطْبَة والخِطْبَةُ مثل الرسالة التي لها أول وآخر"[1].

جاء تعريف الخطاب في "القاموس المحيط" في قول الفيروز أبادي: "الخَطْبُ: الشّأْنُ، والأمر صَغُرَ أو عَظُمَ، جمعه خُطُوبٌ، وخَطَبَ المرأة خَطْبًا، وخَطَبَ الخَاطِبُ على المنبر خَطَابَة بالفتح، وخُطْبَة بالضم...، الخِطَابُ: الحكم بالبينة أو اليمين أو الفقه في القضاء أو النطق بأما بعد"[2].

ورد في "كتاب العين" لأبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي ما يلي: "خَطَبَ الخَطْبُ: سبب الأمر، وفلان يَخْطُبُ امرأة ويَخْتَطِبُهَا خِطْبَةً، ... والخِطَابُ مراجعة الكلام، والخُطْبَةُ مصدر الخَطِيبِ، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخِطْبَة قام في النادي فقال: خَطْبٌ، ومن أراده قال نِكْحٌ، وجمع الخَطِيب: خُطَبَاء، وجمع الخَاطِب خُطَّاب"[3].

يجتمع مفهوم الخطاب في التّعاريف السابقة على أنه إشارة بالكلام، يجمع بين شخصين أو أكثر، ويمكن أن نجد شخصا واحدا يخاطب مجموعة من الناس ويوجه إليهم الكلام.

اصطلاحا:

عُرّف الخطاب في "قاموس السرديات" بأنه "يتألف من مجموعة مترابطة من الملفوظات السّردية التي تعرض القصة، وعلى نحو أكثر خصوصية تحدد ترتيب عرض المواقف والأحداث،... وفي الخطاب يتم الربط بين حالة أو حدث والمقام الذي تبرز فيه تلك الحالة ... ومن ثم فإنّ الخطاب يتضمن إحالة إلى مقام التلفّظ، ويشتمل ضمنيّا على مرسل sender، ومستقبل receiver"[4]، هما طرفا الخطاب الأساسيان، بحيث يكون الرّوائي هو المرسل، والقارئ هو المستقبل.

اعتبر "هاريس Harris" الخطاب أنّه "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[5]، فهو مجموعة من الجمل المتسلسلة، وكل جملة تكمل الأخرى.

---

[1] ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مجلد 1، مادة "خَطَبَ"، ط1، دار صادر، بيروت، 1990، ص 418.
[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 478.
[3] أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، الجزء1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص418.
[4] جيرارد برنس، قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ط1، ميريت للنشر والمعلومات، مصر، 2003، ص48
[5] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص17.

يرى "هاريس Harris" أيضا أنه "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"[1]، أي إنه مجموعة من الألفاظ هدفها هو التواصل.

2- التمرد:

لغة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور في مادة "مَرَدَ" ما يلي: " مَرَدَ: المارِدُ العاتي، مَرَدَ على الأمر، بالضّم، يمرُدُ، مُرُودًا ومرادَةً...، وتمرَّدَ أقبل وعتا، وتأويل المُرُود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصّنف، والمَريدُ: الشّديد المرادة مثل: الخمّير والسّكير...، المارِدُ من الرجال، العاتي الشديد، وأصله من مَرَدَةِ الجنّ والشّياطين...، ومَرَدَ عن الكلام أي مرن عليه لا يعبأ به... وقد تَمَرَّدَ علينا، أي عتا... والمَريدُ: الخبيث المُتمرّد الشّرير..."[2].

جاء عن التّمرد في "القاموس المحيط" ما يلي: "مَرَدَ كَنَصَرَ وكَرَمَ، مُرودًا ومُرُودةً ومرادَةً، فهو مارِدٌ ومريدٌ، ومُتمرِّدٌ: أقدم وعيا، أو هو أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصّنف. ج: مَرَدَةٌ ومَرْدَاءٌ، ومرَدَهُ: قطعه ومزّق عرضه، ... وتمرّدَ: بقي زمانا ثم التحى"[3].

ورد في "كتاب العين لفظ "مَرَدَ: المَرِيدُ من شياطين الإنس والجنّ، وقد تمرَّدَ عليه أي عصا واستعصى، ومَرَدَ على الشيء أي عتا وطغا، وكذلك قوله تعالى: {مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} (التوبة 102)"[4].

الشخص المتمرد هو الذي يخرج عن المألوف، ويحاول التغيير، وتكون له أفكار مخالفة للآخرين.

اصطلاحا:

عرف" ألبير كامو"Albert Camus" الإنسان المتمرد بأنه "الإنسان الذي يقول لا ولكن رفضه لا يعني الإنكار التام والمطلق"[5]، أي إن الرفض يكون لبعض الأشياء بهدف تغيير ذلك الوضع، ومحاولة خلق وضع أحسن منه. ويضيف: "هو الشخص الذي لا يجاوز الواقع بسبب قسوة الظروف التي تتحكم فيه، ولمّا كان كذلك، فهدفه هو إحداث تغييرات

---

[1] م ن ص19.
[2] ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مجلد3، مادة "مَرَدَ"، دار صادر بيروت، 1990، ص400.
[3] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1521.
[4] أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، الجزء4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص132.
[5] محمد يحياتن، مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 04.

جزئيّة في هذا الواقع... "[1]، بحيث لا يمكنه تقبل ذلك الواقع الذي يشترط عليه التّحكم فيه، ويدعو إلى تغيير ولو جزء صغير منه.

التّمرد أيضا هو "صرخة ضد مظاهر الألم، والموت في هذا الوجود، أي إنها صرخة ضد الأشياء التي من شأنها أن تقف حائلا، دون تحقيق الإنسان لسعادته"[2]، فهو محاربة كل الحواجز التي تعيق الإنسان في تحقيق أهدافه وطموحاته.

يأتي التّمرد على شكلين مختلفين هما:

أ- التمرّد الاجتماعي:

ينتج هذا النوع من التمرد نتيجة الضغوطات الاجتماعية على الأفراد، حيث أن "التمرد أو العصيان هو رفض تنفيذ الأوامر ويمكن تعريفه بأنه مجموعة من أنماط السلوك الاجتماعي الموجّه إلى أشكال السلطة الاجتماعية ومظاهر النفوذ الاجتماعي للخروج عليها وإعادة بنينتها في ضوء ما يتوقعونه"[3]، فالتمرد الاجتماعي هو رفض معظم العادات السائدة في المجتمع ومحاولة إعادتها حسب ما يرغبه الأفراد، "وتبدأ كل ثورة اجتماعية بعملية تمرّد تقوم بها جماعة من الأفراد ثم تستقطب مجموعات أخرى من الناس حتى تضم أغلب الفاعلين الاجتماعيين وتنظم تمردهم"[4]. فإذا أراد الشعب مثلا أن يتمرد على النظام يجب التخطيط لذلك ومحاولة استقطاب أكبر عدد من الناس ليستطيعوا إيصال رأيهم، مثلما يحدث حاليا بالجزائر نتيجة المسيرات والإضرابات التي يقوم بها الشعب للإطاحة بالنظام.

ب- التمرد النفسي:

التمرد النفسي يحدث نتيجة الضغوطات التي يتعرض لها الإنسان، سواء من طرف العائلة، أو المجتمع، فتنتج عنه سلوكات رافضة للوضع الذي يعيش فيه، ويتجلى عامة في خرق القوانين التي أجبر على تطبيقها وتجاوز العادات والتقاليد السائدة.

---

[1] م ن، ص ن.

[2] محمد يحياتن، مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية، ص 07.

[3] حازم مطر، نظرية التمرد الاجتماعي، جريدة العالم الحر، https://www.3alamfree.com ، 07-04-2019، تاريخ الزيارة: 20-05-2019.

[4] م ن.

لقد أُخذ هذا النوع من التمرد بعين الاعتبار خاصة من طرف العلماء، ومن بينهم "سارتر Sartre" الذي قال إن "الميول التمردية قد تكون مفيدة في مساعدة الفرد على النمو في اتجاه الاستقلال، حيث يحدث تأثيرا على مجموعة من السلوكات التي تساعد الفرد على استعادة حرّيته التي يعتقد أنه فقدها... قد يحمل هذا النوع من التمرد النزعة إلى الولوج، مثل اللجوء إلى شرب الكحول وتعاطي المخدرات أو أعمال النصب والتخريب"[1]، فالتمرد النفسي في هذه الحالة يصيب الفئة الشبابية بصفة خاصة، ما يدفع أفرادها إلى الانحراف واللجوء إلى الممنوعات والخراب.

3- الخطاب النسوي:

يتميز الخطاب المكتوب حول المرأة، حسب نصر حامد أبو زيد، بالعنصرية، ذلك أن "الخطاب المنتج حول المرأة في العالم العربي المعاصر في مجمله طائفي عنصري، بمعنى أنه خطاب يتحدث عن مطلق المرأة الأنثى، ويضعها في علاقة مقارنة مع مطلق الرجل/ الذكر"[2]. فوجود مقارنة بين المرأة والرجل يعدّ في حد ذاته عنصرية، بحيث يفضل الذكر باعتباره الطرف الأقوى دائما.

ما تزال المرأة دائما الطرف الضعيف في نظر المجتمع، رغم أن الإسلام قد أعطاها نفس الحقوق مع الرجل، مصداقا لقوله تعالى: {هُوَ الذِّي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} (سورة الأعراف، الآية 189)، فالرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة، وخلق الله عز وجل حواء من ضلع آدم لتكون جزءًا منه. وقال أيضا: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم، الآية21)، فأصل الحياة هو الزواج بين الرجل والمرأة لإنشاء علاقة تعمها المودة والرحمة، فتقوم الحياة بينهما على أساس الاحترام المتبادل، وعدم استصغار أيّ طرف لطرف آخر. فهذه الآيات وغيرها تنص على التساوي بين الرجل والمرأة، فإذا كان الله عز وجلّ قد صنفهما في نفس المستوى، ولم يفضل أحدا من خلقه، فلا يحق لأيّ أحد احتقار غيره مهما كان جنسه. وحسب رأي نوال السعداوي فإن "المرأة تحتوي في أعماقها على رجل، والرجل يخبئ في أعماقه امرأة"[3]، ففي كيان المرأة يوجد رجل، الرجل الذي أنجبها في المرتبة الأولى، ثم أخوها، ثم زوجها الذي تتقاسم معه حياتها. والشيء نفسه مع الرجل، ففي أعماقه امرأة، وتبنى علاقة الاثنين على الاحترام.

---

[1] نصر صبح القيق، التمرد النفسي وعلاقته بالإنتاج الإبداعي لدى الفنان التشكيلي الفلسطيني، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، المجلد 7، العدد 2، فلسطين، يونيو 2017، ص07.

[2] نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف (قراءة في خطاب المرأة)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004، ص29.

[3] نوال السعداوي، مذكرات طبيبة، ط2، دار المعارف، القاهرة، 2004، ص32.

بالرغم من المعطيات السابقة فقد كان من الصعب على الرجل تقبل فكرة دخول المرأة مجال الكتابة والأدب الذي استطاعت فيه إبراز مكانتها بقوة، رغم أنه في البدايات كان صعبا عليها التعبير بحرية، ذلك أنّ "المرأة عبر التاريخ لم يكن بمقدورها في ظل الثقافة الأبوية أن تعبر عن ذاتها، وتمارس وعيها الخاص وقيمها الثقافية الإنسانية بطريقة مستقلة"[1]، بسبب وجود قيود في المجتمع تمنعها من ذلك وتحول دون شعورها بالحرية.

يرى أبو زيد أن المرأة أصبحت "في الخطاب المتشدد عنوانا للرجس والخطيئة ومدخلا للشيطان، وصار حبسها وحجبها عن الاختلاط والفعالية الاجتماعية هو الحل"[2]، فالبعض ينظر إلى المرأة من حيث اقتصار دورها على البقاء في المنزل وإنجاب الأولاد وتربيتهم، وإذا ما خرجت عن هذا فقد ارتكبت خطيئة، ولا يجب دمجها مع المجتمع.

تحاول المرأة الهرب من الاحتقار الذي تعيشه بسبب الرجال، وهو ما أظهرته فضيلة الفاروق في قولها على لسان إحدى شخصياتها: "ولهذا كل يوم جمعة أصاب بالصداع، أتمارض وأختار لنفسي موقعا في البستان أو على سلالم السطح لأختفي عن الأنظار، كانت تلك أولى بوادر تمردي ومقاومة العائلة"[3]. فالبطلة لم تقبل منذ صغرها فكرة وجود الرجل دائما في المقام الأول، ولم تعجبها فكرة اتباع نساء العائلة في كل ما يقمن به رغم أنه غير عادل.

لم يقبل المجتمع تحرر المرأة، وخروجها عن العادات التي تقدس الرجل، فرغم كل ما قامت به لم تتمكن من الوصول إلى ما سعت إليه، ولم تحقق المساواة إلى يومنا هذا، وما زالت في بداية التحرر.

[1] ميساء الخواجا، الخطاب النسائي في ظل هيمنة الذكورة، www.alhayat.com ، 27- 10 2014، تاريخ الزيارة: 23- 05 2019.
[2] نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، ص208.
[3] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2003، ص24.

الفصل الأول: الرواية النسوية الجزائرية، مقوماتها وخصوصياتها:

المبحث الأول: سمات الرواية النسوية الجزائرية

المبحث الثاني: الرواية وتصوير الوضع الأنثوي

المبحث الأول: سمات الرواية النسوية الجزائرية

1. نشأة وتطور الرواية النسوية:

إن التحدث عن الرواية النسوية، أو الأدب النسوي، يحيلنا إلى الكثير من التساؤلات حول ماهية هذا الأدب، أهو أدب كغيره من الآداب، أم أنه أدب مهمش غير معترف به، إذ صُنّف بأدب النواعم لا يتجاوز مشاعر واعترافات نسويّة، يذهب "عامر رضا" في هذا الصدد إلى "أن مصطلح الكتابة النسوية، كمفهوم ابتدائي، عام يحيل إلى ما تقوم به الأنثى، وما تتصف به، وتنضبط إليه، الأمر الذي يستدعي إلى ذاكرة القارئ وبطريقة إرادية وظيفتها الجنسية وذلك لفرط ما استخدم اللفظ لوصف الضعف والدقة والسلبية"[1]. لهذا السبب انتقد هذا الأدب بكثرة باعتباره نسائيا يعارض قيود المجتمع الذكوري.

أ- عند الغرب:

ظهر مصطلح الأدب النسوي في العالم الغربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد "أثار جدلا طويلا بين النقاد، فمنهم من رفضه لأنه يؤدي إلى تصنيف الأدب حسب معايير جنسية لا أدبية موضوعية. وتبنى فريق من الناقدات النسويات هذا المصطلح مؤمن باختلاف أدب المرأة لأنه ينطلق من مناطق غير تابعة للسيطرة الذكورية"[2]. لذا لم يكن هذا الأدب رافضا للسيطرة الذكورية فحسب، بل جاء ليمنح المرأة أهمية وحرية، خاصة تجاه العادات والتقاليد، فكان الأدب النسوي يكتب بمعايير جنسية لا بمعايير أدبية.

اختلفت الآراء حول تسميات الأدب النسوي، حيث عارض نقاد كثيرون هذه التسمية واعتبروها غير عامة، وكما اعتبروها محدودة ومركزة فقط على المرأة، فدُعي مثلا "بأدب الملائكة والسكاكين كما أُطلق عليه، أدب الأظافر الطويلة "[3]. ونجد الكثير من المعارضين لهذا الأدب أي الأدب النسوي، مفضلين "مصطلحا عاما غير محدد وغير ذي معنى، وهو الأدب الإنساني، يريدون به ذلك الأدب الذي يكتبه الرجال والنساء سواء بسواء"[4]. فرفضوا فكرة أن ينسب الأدب إلى المرأة، بل لأنه يخدم الأدب بصفة عامة، وكما يقول "نزيه أبو نضال"، فإن "الأدب لا يمكن أن يكون نسائيا أو ذكوريا، غير أن أديبا ما، سواء أكان رجلا

[1] عامر رضا، الكتابة النسوية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، مجلة اللغة، العدد 15، جامعة ميلة، قسم الأدب والفلسفة، ميلة (الجزائر)، 2016، ص 3.
[2] محمد قاسم سفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في الفلسفة، إشراف الدكتور إبراهيم طه، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حيفا، فلسطين، تشرين الثاني، 2008، ص7.
[3] محمود فوزي، أدب المرأة أدب الأظافر الطويلة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1987، ص 07.
[4] محمد قاسم سفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث، س 10.

أو امرأة، سيكون أقدر من غيره على تصوير جوانب من الحياة بحكم معرفته الحميمية أو الخاصة به"[1]، فالأدب ينسب حسب العمل، لا حسب الجنس.

لا تنفي المسألة السابقة حقيقة أن المرأة أولى بالكتابة عن نفسها وحياتها، فيعود هذا الأمر في النهاية إلى التجربة الشخصية التي تعيشها المرأة، والقمع الذي تتعرض له من طرف الرجل، الذي يصعب عليه أن يخوض في أدب فيه معاناة المرأة باعتباره السبب الرئيس لما تعيشه من تهميش في المجتمع، لذا فتسمية ذلك الأدب بالنسوي جاء لتميزه عن باقي الأدب، ولفت الانتباه ليكون كتابا مفتوحا أمام القارئ، والمجتمع بصفة عامة.

جاء هذا المصطلح ليبين كيان المرأة في المجتمع وأهميتها في تطويره، حيث إنه غربي المفهوم، والدليل على ذلك أنه "استعمل لأول مرة في مؤتمر النساء العالمي الأول الذي انعقد بباريس سنة 1892، حيث جرى الاتفاق على اعتبار النسوية هي إيمان بالمرأة وتأييد لحقوقها وسيادة نفوذها"[2]. لذا نقول إن لجوء المرأة إلى الكتابة تحت عنوان الرواية النسوية هو لتحديد هويتها وتحقيق أهدافها باعتبارها عضوا فعالا في المجتمع وجزءا مهما لا يتجزأ منه.

ب- عند العرب:

لم تعد الرواية النسوية مرتبطة بالغرب فحسب، بل سرعان ما انتشرت حتى في العالم العربي، واتخذت كسبيل للنساء عامة والروائيات خاصة للدفاع عن ماهيتهن، فكان "تأثير التيار الغربي المتمثل في الحركة النسوية العالمية خلال السبعينات، والذي يشكل في نظرنا المرجعية الأساسية للحركات النسوية الحالية في العالم العربي "[3]. وباعتبار ما عاشته المرأة العربية من ظروف قاسية وقمع من طرف الرجل، في ظل المجتمع الذكوري، فضلا عن العادات التي جعلتها مهمشة لا تصلح أن تكون سيدة مجتمع، برزت في المشهد الثقافي العالمي، "فكان ابتداع المرأة الحقيقي عن الكتابة يرجع أساسا إلى هذا التأنيث الذي يثقل كلمتها، وظلت تناضل من أجل انتزاع هذا الحق، مضطرة أحيانا إلى الغش والخيانة والتدليس من أجل الظفر بالمستمع لاكتشاف كلمتها وحماية كتابتها"[4]. فكلمة مؤنث أو نسوي، كانت حاجزا كبيرا بالنسبة إلى المرأة لإثبات وجودها، حيث تدل على الضعف وقلة الحيلة، لذا اتجهت إلى أساليب مختلفة لكسر هذا الحاجز، وإعطاء الكلمة النسوية معنى مختلفا تماما عما كان عليه من قبل.

---

[1] م ن، ص 11.
[2] عامر رضا، الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، ص04.
[3] عامر رضا، الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، ص 05.
[4] م ن، ص ن.

وجدت المرأة العربية الكتابة سلاحا للدفاع عن هويتها وكيانها وإثبات ذاتها، وطلب المساواة بينها وبين الرجل، وفي هذا الصدد تقول الكاتبة زهور كرام: "تشكل المرأة موضوعا سجاليا في مستوى التغيير الاجتماعي لأي مجتمع باعتبار أن تغيير الصورة الثابتة حولها من شأنه أن يحرر الذاكرة... وتدفع بالتالي الفكر إلى وجودها كفاعلة"[1]، أي إن الدراسة المغربية تؤكد أن المرأة راغبة في فرض مكانتها في المجتمع.

إذا استندنا إلى الجانب الديني نرى أن للمرأة مكانة عظيمة ومحفوظة، حيث أوصى بها الله تعالى في كتابه العزيز في قوله: {يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ اَلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجًا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءَ، وَاتَّقُوا الله اَلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامِ}. (النساء ،الآية1). وفي آية أخرى قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اَتْقَاكُمْ، إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ}. (الحجرات، الآية 13). فالقرآن الكريم جاء ليمنح المرأة ما لها من حق، فمكانتها محفوظة فيه. وليس هذا فحسب، بل جاء ذلك في أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، حيث أوصى بضرورة احترام المرأة وحفظ مكانتها. قال أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلعٍ أَعْوَجٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمَتُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجًا، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"[2] (صحيح البخاري عن أبي هريرة). فالمرأة هي التي تلد وتربي جيلا يُفتخر به، فكيف لا تكون لها أهميتها وحريتها.

تفاعلت المرأة العربية، أو الروائية العربية، كما أسلفنا القول، مع الحركة التحررية التي بدأت من الغرب، فيما له علاقة بحقوق المرأة، وتقبّل الأدب النسائي بماهيته ومكانته، لكن الأمر لم يكن مشجعا في العالم العربي، حيث كانت المرأة أكثر قمعا من جهة، باسم الدين أو النّظرة الخاطئة لبعض رجال الدين، ومن جهة أخرى باسم العادات والتقاليد. ولا تحمل عبارة المرأة العربية الكاتبة "وقعا مشجعا في العالم العربي... والسبب الرئيسي هو أن مفهوم هذه العبارة يتضمن تمييزا ضد الكاتبات النساء، يتجاوز بالضرورة الظلم الاجتماعي الذي تتعرض له النساء في الحقل الأدبي"[3]، فهنَّ سعيْنَ إلى أن يكنَّ كاتبات دون تمييز، أي بغاية الكتابة دون ألقاب نسوية، نسائية، أنثوية، تجعل كتاباتهنَّ كلام نواعم.

استقبل النقاد العرب هذا الأدب بالرفض من الوهلة الأولى، دون النظر الى المحتوى، باعتباره يحمل في اعتقادهم مشاكل النساء في المجتمع الذكوري. "والحقيقة أن النقاد العرب

[1] زهور كرام، الكتابة النسائية أفق مفتوح التنوع، الكتابة النسوية، التلقي، الخطاب والتمثلات، الطبعة 1، المغرب، 2010، ص97.

[3] بثينة شعبان، مئة عام من الرواية النسائية العربية، ط1، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، ص11.

يتعاملون مع الأعمال التي وضعتها النّساء بأحكام مسبقة، معتبرين أن العمل يحمل طابع السيرة الذاتية، وأنَّه يعالج موضوع الحب والزواج...، ولذلك فإنَّه بحد ذاته لا علاقة له باهتمامات الجمهور"[1]. والأمر في الحقيقة ليس كذلك، فالمرأة لم تتحدث عن نفسها فحسب، بل تناولت مواضيع عدّة وأخذتها بعين الاعتبار وفي شتى المجالات، مثل المجالات التاريخية، السياسية، والاجتماعية، التي يعيشها العالم العربي بوجه خاص، وقد "عرضت الباحثة الروائية النسوية العربية خلال القرن العشرين بأكمله عبر فرش اقتصادي واجتماعي وسياسي نضالي تحرري... ودمجت الطريقة التاريخية بالمنهج الاستقرائي لكي يتسنى لها أن تُدخِل شيئا من التنسيق على هذا الكم الهائل من المادة..."[2]. وبعد هذا كله نقول إن الرواية النسوية جزء لا يتجزأ من الرواية العربية.

تقول الكاتبة غادة السمّان، "أنّ الأدب النسائي قد قطع أشواطا بعيدة في تجاوز اهتمامات المرأة بواجباتها المنزلية، ومن أهم السمات التي تؤكّد عليها الكاتبة، أنّ الحرية والديمقراطية مقومان متكاملان لا يمكن تقسيمهما، ولا يستطيع أحد أن يؤمن بهما في مستوى معين، بينما يعاديها في مستوى آخر"[3]، فقد أصبحت اهتمامات المرأة تتعدى الأعمال المنزلية التي تعودت عليها.

2- عوامل تأخر الأدب النسوي في الجزائر:

إذا اطلعنا على الأدب النسوي في الجزائر، سنجد أنه تأخر في الظهور، ويعود ذلك إلى عوامل عديدة ومختلفة، والعامل الأساسي هو ما عاشته المرأة الجزائرية من تهميش في دائرة مغلقة، جعلتها تعيش ضمن قواعد وقوانين وعادات وتقاليد قبلية، دفنت ما بداخلها من إبداع.

ترتب عن ذلك التهميش، أن الدارس "يجد انعدام دور المرأة فيه واضحا، فلا أثر لحضورها، سواء في الحركة الثقافية... فقد كانت المرأة الجزائرية تعيش في وضع اجتماعي مغلق محاصر بالعادات والجهل والتهميش"[4]، لذلك نجد نشاط المرأة الأدبي قليلا قبل الثورة الجزائرية .

أرجع بعض النقاد تأخر هذا الأدب في الجزائر، وعدم ظهور المرأة في مجال الكتابة، إلى الاستعمار، حيث كان يستخدم سياسة القمع، ونشر الجهل في المجتمع، لكي لا يكون هناك نوعا من الوعي الذي يدفع الشعب إلى الدفاع عن نفسه، ووطنه، فمسّت هذه الأساليب

---

[1] م ن، ص ن.
[2] م ن، ص 7.
[3] ينظر: سارة حسين، في الأدب النسوي، موقع ديوان العرب، https://mawqi3diwanelarab.com ، 2016، تاريخ الزيارة: 29 ماي 2019.
[4] باديس فوغالي، التجربة القصصية النسائية في الجزائر، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002، ص9.

المرأة بصفة خاصة، لاسيما أن تدريس اللغة العربية كان ممنوعا، إذ اعتبرها المحتل لغة أجنبية، في حين "شجع لغته القومية، الأمر الذي سمح لكثير من الأسماء النّسائية اللاتي كنّ يتخذن من اللغة الفرنسية وسيلة للكتابة بالظهور في الساحة الأدبية خارج الجزائر"[1]. وقد شكل ذلك على الأقل حدّا أدنى من التعبير الحرّ بلغة الآخر.

ومن العوامل أيضا، العامل المتمثل في الشّعر، حيث عدّ هو الأدب ذاته، "وقد كانت جمعية العلماء بحكم إشرافها على الصحف، تعتقد أن الشعر هو الأدب الجزائري "[2]. فسيطرت هذه الفكرة على الأذهان، فلم تمنح الفرصة لأي جنس أدبي آخر أن يكون في الواجهة.

يضاف إلى كل هذا، السيطرة الذكورية والنظرة الدونية إلى المرأة، حيث كان الرجل هو المبدع الوحيد، ولا مكان لإبداع المرأة في ظلّه، أي إنّ المجتمع الذكوري هو المسيطر دائما، سواء على الأدب أو غيره، "في ظل هيمنة الجو المتحفظ المتشدد الذي كان يستنكر وجود المرأة في نص أدبي، عن أن تكون المرأة هي المبدعة في ذلك النص"[3]. لذا ظل الأدب وإبداعه مقتصرين على الرجل لزمن طويل.

تميزت الرواية النسوية الجزائرية، رغم كل الصعوبات والانتقادات التي واجهتها، بتعدد وجهاتها ومواضيعها، فهي لم ترتكز على وضع المرأة فحسب، بل حاولت أيضا دراسة مواضيع أخرى تهم المجتمع، فظهرت فيها سمات لم تكن موجودة من قبل، يطبعها أسلوب التمرد، ما جعلها أحيانا تصور وضعيات ومشاهد مخالفة لأخلاق المجتمع الجزائري الإسلامي، لكن هذا لا ينكر حقيقة أنها تلتقي مع الأدب الذكوري في بعض السمات والمميزات. وسنحاول فيما يلي إبراز بعض السمات التي تطبع الرواية النسوية الجزائرية، بالتركيز على القضايا المعالجة فيها بوجه عام.

3- سمات الرواية النسوية في الجزائر:

تعد الرواية النسوية في الجزائر حديثة الولادة مقارنة بالبلدان العربية الأخرى، فظهرت عدة روائيات جزائريات أثرن الضجة بكتاباتهنَّ، المعبرة تارة عن الوضع الأنثوي وتارة أخرى عن الثورة التحريرية، التي ولّدت بداخلهنّ شغف التعبير والدفاع عن الذّات والوطن معا، إضافة إلى الوضع الذي عاشته الجزائر في التسعينيات، حيث ظهرت كتابات عدة من طرف روائيات جزائريات كتبن عن تلك المرحلة بصفة عامة، وما عاشته فيها المرأة بصفة خاصة.

---

[1] باديس فوغالي، التجربة القصصية النسائية في الجزائر، م س، ص 10.

[2] م ن، ص ن.

[3] يوسف وغليسي، خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوي الجزائري، ط 1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 69.

أ- المرأة والآخر (الاستعمار):

بالرغم من أن الرواية النسوية لم تكن سائدة في فترة الاستعمار للأسباب التي سبق ذكرها من قبل، لكن هذا لم يمنع الروائية الجزائرية من أن تكتب وتعبر عما عاشته المرأة في تلك الفترة، وحتى ما عاشه المجتمع الجزائري بأسره، إذ "كانت المرأة في بلادنا ولازالت فلقة الصمود والمقاومة، عماد الأسرة وخزان الوطنية، حافظت على الانتماء الحضاري للأمة، عقيدة وسلوكا... وفي أحضانها نشأ وترعرع الأبطال من الشهداء والمجاهدين، أبطال الحرية والمدافعون عن الكرامة والهوية"[1]. فدور المرأة في الثورة تمثّل في الجهاد، ليتحول بعدها إلى النضال بالقلم، و"على هذا أمكن للمرأة مسيّرة الثورة أن تعبّر عن نفسها، وترابطها مع متطلبات المجتمع المادية ومعطياته... وهذا جوهر أساسي قدّمته المرأة أثناء الثورة وأضافته لإثراء الفكر الثوري في خصوصية ثورة أول نوفمبر"[2]. لذا شاركت المرأة الجزائرية بكل ما أوتيت من طاقة، بدنيا وفكريا، ما جعلها نموذجا للمرأة المثالية عبر العالم.

ب المرأة والحب:

شكل مصطلح الحب، رغم بساطته، هاجسا كبيرا لدى المجتمع، كان ينظر إليه على أنه خروج عن تعاليم الدين، ونوع من التمرد على الأخلاق، لكن الروائية الجزائرية لم تجد مانعا في تناوله، كما ورد في رواية "اكتشاف الشهوة "، لفضيلة الفاروق: "الاعتراف بالحب شبهة ... كإحدى الكبائر، كالقتل..."[3]. وفي قول آخر: "أغمضت عيني واستسلمت لمذاق شفاه إيس التي كانت معبرا نحو التحرر"[4]. فالتحدث عن المشاعر المكبوتة في نظر الكاتبات هي الخطوة الأولى نحو التحرر.

الحب ضروري في حياة المرأة، كما هو الحال في حياة الرجل، فترى "أحلام مستغانمي" أن الحب عند المرأة هو حبها الأول، لكن عند الرجل يعني أشياء كثيرة، "أنه قضية نسائية لا تعني الرجل سوى بدرجات متفاوتة من الأهمية"[5]. فيجدر أن نقول إذن إن الجانب العاطفي ميزة في الأدب النسوي الجزائري.

ت- المرأة والجسد:

[1] أبو طارق محمد العربي، القول المرأة والثورة التحريرية، الملتقى الوطني حول كفاح المرأة الجزائرية 10 جويلية 1990، مطبوعات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، عنابة (الجزائر)، ص 105.
[2] زهور ونيسي، من يوميات مدرسة حرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 16.
[3] فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، ط 1، رياض الريس للكتابة والنشر، بيروت، 2006، ص 99.
[4] م ن، ص 140.
[5] أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ط1، دار الأدب، بيروت، 1998، ص 94.

يمثل الجسد في الرواية النسوية الجزائرية عاملا لجذب القراء، وإثارة الشهوة، "الجسد هو سبيل الكتابة عند المرأة ونارها التي لا تنضب ومعجزاتها التي لا تكتمل، فمن الجسد تقبض المرأة على شيطان لغتها ومن معجمه تزيّن السرد ببروقه ورعوده وتركب على أحصنة اللغة"[1]. إذ تجعل جسدها لغة تعكس ما بداخلها، "فالمرأة تكتب بجسدها قبل أن تنقل جسدها على الورق، تعكس سيميائية الجسد ببراعة رسمها، ودقة اختيارها في تشكيل سردها الروائي بما يحمله من قلق السؤال وهاجس الواقع والتاريخ"[2]. لذا جعلت الجسد أساسا في كتاباتها، فصارت في بعض الأحيان تصوره بأدق تفاصيله، ومن جهة أخرى تروي ما تتعرض له من تحرش وعنف جسدي، كما لو كان هو الأولى قبل العقل والمعرفة عند الرجل، وهذا ما يثير غضب المرأة، ذلك أنه ينظر إليها على أنها جسد وحسب.

ث ـ العنف والإبداع النسوي الجزائري:

كان للمرأة في المجتمع دور لا يقل شأنا عن دور الرجل في التعبير عن الظروف التي تعيشها من خلال كتاباتها وتجاربها، فحسمت موقفها الرافض للعنف، خاصة في مرحلة التسعينيات، إذ "حدثت نقلة نوعية للكثير من الصحافيات اللواتي تحولن من مجال الإعلام إلى مجال الإبداع الأدبي، مثل الكاتبة فضيلة الفاروق، ياسمينة صالح...الخ، كلهن اشتغلن كصحافيات في فترة الأزمة التي عاشتها الجزائر..."[3]. فتلك الأحداث جعلت الكاتبات الجزائريات، بشهاداتهن الأدبية، جزءا لا يتجزأ من ذلك الوضع المأساوي، وقد "أنجزت أعمالا إبداعية جديرة تجاوزت كل قيد، وبقيت ثروة إنسانية هائلة ومنجما ثريا عتيدا "[4]. ففي هذه الفترة استطاعت الكاتبة الجزائرية أن توصل ما عاشته من قمع وما تعرضت له من اغتصاب في تلك الفترة، وليس هذا فحسب، بل جسدت ما عاشه المجتمع الجزائري برمته.

تميزت الرواية النسوية الجزائرية بما سمي برواية الأزمة، وهذا في الفترة التي سبق لنا ذكرها في التسعينيات، التي سميت أيضا بالعشرية السوداء، ولم يكن لها تأثير على الجانب السياسي فحسب، بل حتى على الجانب الأدبي الثقافي، إذ عرفت الرواية النسوية تحولا كبيرا وجديدا، وميلادا آخر فرضته الظروف والأحداث التي ألمت بالجزائر آنذاك. ومن أبرز التسميات التي أطلقت على رواية هذه الفترة، رواية الأزمة، رواية المحنة، وغيرها، فقد "بينت خصوصية العطاء الروائي الذي يدل على وعي نظري في فهم التشكيل

---

[1] الأخضر بن السائح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب، العدد 04 ، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، جانفي 2009، ص 71.

[2] الأخضر بن السائح، سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2001، ص 7.

[3] فريدة ابراهيم موسى، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية" دراسة نقدية"، ط 1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، 2012، ص 11.

[4] حفناوي بعلي، جماليات الرواية النسوية الجزائرية، تأنيث الكتابة وتأنيث بهاء المتخيل، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان(الأردن)، 2015، ص 254.

الاجتماعي وتشخيصه فنيا، فكانت الروايات كلها تعبيرا عن رؤية العالم لأنماط الوعي المتجلية خلال هذه الفترة "[1]. لذا فهي عالجت فترة حساسة مرّت بها الجزائر.

ج ـ الذات الأنثوية والبحث عن الهوية:

سعت الكاتبة إلى تفجير المكبوت الفكري والإبداعي الذي جاء ليقاوم هيمنة الاعتقادات الخاطئة والتهميش الممارس على المرأة، في حين أنها لا تقل أهمية عن الرجل في مجال الكتابة والإبداع، لأن فكرة الأسبقية للرّجل في الكينونة والإبداع سائدة، إذ "يبقى سجين التعامل اللاهوتي مع المرأة باعتبارها كائنا يأتي في المرتبة الثانية من حيث الوجود الإنساني، وبوضعها عنصرا اختارته الطبيعة للقيام بوظيفة إعادة الإنتاج فقط "[2]. فيقوم المعتقد الذكوري في عمومه على فكرة مفادها الحفاظ على النسل واستمرارية الحياة، لذا تكون المرأة دائما في المرتبة الثانية بعد الرجل.

لكن هذا لم يمنع المرأة من الكتابة والتعبير عمّا بداخلها، لإثبات ذاتها: "أتركونا أحرارا عندما يتعلق الأمر بكتابة فكرية ذات طبيعة علائقية لا يمكن أن تنهض من دون أن تتعاضد مع المكان والزمان في وحدة واحدة، بحيث يشكل بنية متعددة الزوايا كفيلة بأن تجعل الذات المبدعة تمسك باللحظة التاريخية الخالدة..."[3]. إذن فالعوائق التي تواجهها المرأة لا تزيدها سوى إصرار وإبداع لإثبات مكانتها، وإظهار مدى اختلاف ما تكتبه هي عمّا يكتبه الرجل.

من الصعب علينا تحديد خصائص الرواية النسوية الجزائرية لارتباطها بالرواية العربية، والرواية الرجالية في أمور كثيرة، لكن هذا لا يمنع من ذكر بعض تلك السّمات وتعدادها في النقاط التالية:

- للمرأة طبع خاص في الكتابة بطريقة مباشرة وعفوية عبر الاستعمال العادي للكلمة، "فتركز على البعد الحميمي وممارسة الاعترافات والبوح"[4]، وإخراج ما ظل خافتا، ومسكوتا عنه.

- الحرية في التعبير، ذلك أن "الوظيفة الأولى للكتابة الأنثوية هي التواصل، وتفجير الكلمة المتحررة في الصّمت، أو التي تمارس نوعا من الثرثرة المقبولة "[1]، وهذا ما يمنح الكاتبة هامشا معتبرا من الحرية.

---

[1] آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المتخلف، ط 2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو (الجزائر)، 2011، ص 207.

[2] ينظر: محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء (المغرب)، 1988، ص 7.

[3] محمد أحرز، عن ميشال فوكو، شعرية الكتابة والجسد، دراسة حول الوعي و الشعرية، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2005، ص 71.

[4] ينظر: سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، 2012، ص 206.

- خصوصية اللغة الأنثوية، بحيث تعبر المرأة بما يوجد داخلها من أحاسيس بلغة خاصة وتعبير توصل به مشاعرها إلى القارئ، فـ "الكتابة الأنثوية تعكس الطبيعة الداخلية للمرأة، وهكذا يصبح النّص والبطلة والأنثى فيه امتداد، نرجسيا للمؤلفة "[2]. وهذه هي البصمة التي تتركها الروائية في عملها.

- نلاحظ أيضا اختلاف المرأة عن الرجل في الخيال الذي توظّفه في روايتها، "مما يستدعي اختلاف الذاكرة النسوية عن الذاكرة الرجولية "[3]، فهذا ملحوظ بكثرة في الرواية النسوية، التي تعكس رؤية المرأة وتحمل وعيها المسؤول.

- كما تتسم الرواية النسوية بالجرأة، فتجعلها تعبر عما بذاتها بطابع فني خاص بها، فهي تتصف بمعايير فنية مثل الصدق، وهو ما ينشأ عن التحرر من تقليد طليعة الأدباء والرجال[4]، واتخاذ مكان لها في الحياة والفن والإبداع.

- نلاحظ، من جهة أخرى، هيمنة طابع الحزن على الرواية النسوية الذي تترجمه مظاهر الحرمان والنظرة المتشائمة...هكذا تبدو صورة الأدب النسوي المعاصر[5]، التي تطبع بدرجة خاصة إبداع المرأة وتُفصح عن آلامها وآمالها.

- كما يعالج الأدب النسوي نقطة حساسة، بالنسبة إلى المرأة، تكمن في نكران أنوثتها، وذلك، "مقابل خصوصية الرجل الذي يجد المرأة تمكنه عن طريق الجنس من الهروب من أعباء حياتية كثيرة..."[6]، وهذا ما يفسر التفريق بين الأدب النسوي والأدب الذكوري.

تطرقنا في هذا المبحث إلى نشأة الكتابة النسوية بداية من الغرب إلى العرب، بصفة عامة، وصولا إلى الجزائر بصفة خاصة، حيث لم يكن مرحّبا به خاصة في الدول العربية، إذ اعتُبر أنه جاء ليمنح الأدب وجهة أخرى، كما أنه اعتُبر كلام نواعم لا ينفع القارئ في شيء. لكن رغم كل الصعوبات استطاعت الأديبة النسوية، بصفة عامة، أن تبين ذاتها، وتمنح أدبها هذا مكانة في الأدب.

لاحظنا أيضا تأخر ظهور ذلك الأدب في الجزائر على وجه الخصوص، وذلك عائد إلى أسباب تاريخية وحتى اجتماعية، لكن هذا لم يمنع الروائية الجزائرية من الكتابة عما تعيشه من ظلم وقمع، ليس هذا فحسب بل أسهمت بالدفاع عن النفس والوطن معا لتعطي

---

[1] م ن، ص ن.
[2] م ن، ص 207.
[3] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، ص 207.
[4] ينظر : حسين المناصرة ، النسوية في الثقافة والإبداع ، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، 2008، ص 113.
[5] ينظر: م ن، ص 114 .
[6] م ن، ص 115.

نظرة مغايرة لهذا الأدب باعتباره يدرس مجالات ومواضيع عدة تخدم المجتمع لا الوطن فحسب.

كما درسنا سمات الأدب النسوي الجزائري مقارنة بالأدب النسوي العربي والأدب الذكوري، فلاحظنا أنه لا يختلف عن الأدب الآخر، سواء في اللغة أو غيرها، لذا من الصعب تحديد سمات معينة لأدب معين.

المبحث الثاني: الرواية وتصوير الوضع الأنثوي:

1-تعريف الرواية:

لغة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور في مادة "روى" ما يلي: " رَوِيَ من الماء بالكسر، ومن اللبن يَرْوَى رِيًا، ورَوَى أيضا مثل رضًا وتَرَوَّى وارْتَوَى... ويقال رَوَيْتُ عَلَى أَهْلِي أَرْوِي ريَّةً... ويقال رَوَيْتُ القَوْمَ أَرْوِيهِمْ إِذَا اسْتَقَيْتُ لهم... تَرْوِي: معناه تَسْتَقِي، ورَوَى الحَدِيثَ والشِّعْرَ يَرْوِيهِ رِوَايَةً، وتَرَوَّاهُ، ويقال رَوَى فلانٌ فلانًا شِعْرًا إِذَا رَوَاهُ له حتى حفظه للرِّوَايَةِ عنه، قال الجوهري: رَوَيْتُ الحَدِيثَ والشِّعْرَ رِوَايَةً فَأَنَا رَاوٍ من الماء والشّعر "[1].

جاء في "القاموس المحيط" كلمة "رَوَى": رَوِيَ من الماء واللّبن، كَرَضِيَ، ريًّا، ورَوَى، وَتَرَوَّى، وارْتَوَى... وَيَرْوِي رِوَايَةً، وَتَرَوَّاه، بمعنًى، وهو رواية للمبالغة، ... وَرَوَّيْتُهُمْ الشّعر حَمَّلْتُهُ عَلَى رِوَايَتِهِ "[2].

ورد في "معجم العين" ما يلي: "رَوَى: الرِّوَاء حسن المظهر في الرّواء والبهاء والجمال... رَوِيَ إذا أرادوا الرّيّ من الماء... والرَّاوِي الذي يقوم على الدّواب... أما الرجل الرَّاوِيَة، هو راوي هذا الشيء، والرِّوَايَةُ رِوَايَةُ الشعر والحديث، ورجل رواية: كثير الرواية "[3].

نلاحظ أن مفهوم الرّوي في المعاجم الثلاثة يحمل مفهومين اثنين، رواية الماء أي السّقي، ونقل الشعر أو الحديث إلى الناس، وسمي ذلك رواية.

اصطلاحا:

عرف "معجم المصطلحات العربية" الرواية كما يلي: " الرواية في الأدب Novel سرد نثري خيالي طويل عادة، تجتمع فيه عدة عناصر في وقت واحد مع اختلافها في الأهمية النسبية باختلاف نوع الرواية، وهذه العناصر هي: الحدث، التحليل النفسي، تصوير المجتمع، تصوير العالم الخارجي، الأفكار، العنصر الشاعري..."[4]، أي إنّ الرواية سرد لأحداث معينة، وتحتوي على مجموعة من العناصر تتناول مواضيع مختلفة من المجتمع.

---

[1] ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مجلد 14، مادة "روى"، دار صادر، بيروت، 1990، ص345.
[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، ص685.
[3] أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، جزء 2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ص164.
[4] مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص183.

تعتبر الرواية عند "إبراهيم فتحي" أنها "سرد قصصي نثري طويل، يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد... ليقدم وصفا للتجارب الفردية، يتسم بالتنوع والطزاجة والابتكار... والرواية هي الشكل الأدبي الذي يعكس بأكبر اكتمال ذلك التغيير في الاتجاه العام للثقافة والأدب، من الممارسة التقليدية إلى الابتكار والأصالة الفردية"[1]، بحيث تصور الرواية تجارب من الحياة الفردية، ويقوم الروائي فيها بالبحث عن مواضيع تهم القارئ وتجذبه.

جاء في "معجم المصطلحات الأدبية" لسعيد علوش أن الرواية "نمط سردي يرسم بحثا إشكاليا عند كولدمان، وهي الطابع المشابه عند كريستيفا..."[2]، فليس هناك مفهوما دقيقا للرواية، حيث عرفها كل دارس حسب تصوره، "وينطلق باختين من فكرة واضحة، الرواية كينونة اجتماعية، تاريخية، وكينونة لغوية، فهو ينظر إلى الرواية كممارسة لغوية في علاقة لغوية بالمجتمع"[3]، فقد ربط الرواية بالمجتمع، فهي لغة موجهة إليه تتناول مواضيع اجتماعية.

2-تعريف الكتابة النسوية:

تعرف الناقدة العربية "خالدة سعيد" مصطلح الكتابة النسوية، في كتابها (المرأة، التحرر، الإبداع)، أنه "شديد العمومية وشديد الغموض، وهو من التسميات الكثيرة التي تشيع بلا تدقيق... وإذا كانت عملية التسمية ترمي أساسا إلى التعريف والتصنيف وربما إلى التقويم، هذه التسمية تتضمن حكما بالهامشية "[4]، فهذا المصطلح ليس له تعريف دقيق، بسبب تميّزه بالغموض، إذ "يستدعي مصطلحا الكتابة والنسائية تتبع نقاط الالتقاء بينهما، استجابة للتساؤل التوافقي المنطلق من العلاقة القائمة بينهما، والاكتفاء بها كمصطلح يمثل أحد أبرز المجالات التي دخلها الصوت النسائي لتبليغ الآخر القضايا التي تؤرقه"[5]. وبذلك تعتبر الكتابة النسائية من أهم المصطلحات التي دخلت بها المرأة عالم الكتابة لتعبر به عن كل ما يشغلها من مشاكل وقضايا.

تعتبر الرواية النسويّة السبيل الأقرب والمنجى للمرأة الجزائرية، للخروج من مستنقع الدونية، التي سيطرت عليها على مرّ القرون والسنين، والتي أجبرتها على العيش تحت رحمة السلطة الأبوية التي تتحكم فيها، فلجأت المرأة إلى الكتابة لمحاولة تغيير ذلك الوضع

[1] إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات العربية، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، 1986، ص175.
[2] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ص102.
[3] سامية داودي، ميخائيل باختين، الرواية مشروع غير منجز، مجلة الخطاب، العدد 13، جامعة تيزي وزو، تيزي وزو (الجزائر)، 2015، ص 71.
[4] علي زغينة، صالح مفقودة، علي عالية، السرد النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 01، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، 2004، ص 9.
[5] عبد الله ركاب، شعرية الكتابة الروائية النسائية الجزائرية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف، أ.د فاتح حمبلي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي (الجزائر)، 2017/2016، ص 20.

المزري الذي عانت منه، وتحسين صورتها في المجتمع، وإسماع العالم صوت قلمها الذي يعتبر سلاحها الوحيد للتعبير بحرية.

بدأت الحركات النسائية بالدعوة إلى التغيير، فاختلف المصطلح، وانقسم إلى ثلاثة مفاهيم، فـ "تحدد توريل موى Toril Moi ثلاثة مصطلحات أساسية في هذا الباب، وهي الحركة النسائية feminism باعتبارها موقفا سياسيا، والأثوية femeles وهي مسألة بيولوجية، والنسائية feminity أو النسوية، وهي مجموعة من الخصائص التي تحددها الثقافة"[1]، وتحوي هذه المصطلحات الثلاثة على معان مختلفة، فالنسائية تتمثل في النشاطات التي تقوم بها المرأة، وتدعو النسوية إلى الاستقلال المطلق عن الرجل، أما الأنثوية فهي جنس المرأة البيولوجي.

سعت هذه الحركات النسائية إلى تصوير الوضع الذي عاشت في ظله النساء عن طريق الكتابة، وكان هدف الكاتبات هو إبراز مكانتهن في المجتمع، بالرغم من الظلم الممارس عليهن، وترى الكتابة الأنثوية "أن كل الأنساق الثقافية التمثيلية- وعلى رأسها اللغة- تصر بلا هوادة على وضع الأنوثة خارج نطاق الترميز، باعتبارها تعلو على التمثيل أو تتحداه بشكل أو بآخر في ظل البنيات الأبوية "[2]. فقد اعتادت اللغة أن تشير إلى الرجل وتتجاهل الأنثى، فعند الإشارة إلى مجموعة من الناس، فيهم رجال ونساء، نقول لهم "أنتم" أو "هم"، يذكر الرجال ولا تذكر النساء، إذ يحاولون دائما تغييب النساء حتى عند حضورهن، فتعلو دائما السلطة الأبوية على مستوى اللغة.

ذكر ذلك عبد الله الغذامي في كتابه "المرأة واللغة" بقوله: " ولقد كان الخوف يمنع الكاتبة من أن تجعل ذاتا لها ضمير يتكلم، ويحيل إلى ذاته، وقد تجنبت ضميرها لأنها تود أن تبدو جادة، وتود أن تسلم من الحرج"[3]، ففي الماضي كانت الكاتبة تستحي من ذكر ضميرها، وتتفاداه لكي يتقبله الناس. ويضيف الغذامي بأن "استخدام الضمير الأول (ضمير المتكلم) يعني أن المرأة قد صارت ذاتا وصارت (متكلمة) ويعني حينئذ تأنيث أول ضمائر اللغة، وهذا حرج ضخم لا يمكن تمثله في ظل خطاب الخوف الأدبي"[4]. فقد كان الضمير الأول يعود على الرجل ويستخدم من طرف الرجال، فلا تستعمله النساء لأنه ملك لغيرهن، فإذا كانت اللغة قد ظلمت المرأة، فماذا تنتظر من مجتمع يغضّ بصره عن الجانب الإيجابي، ولا يري فيها سوى الجانب السلبي، وكل ما من شأنه كسر المرأة، وتذكيرها بأنها كائن ضعيف، لا يقوى على المواجهة؟

---

[1] محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي- عربي، ط 3، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، الإسكندرية (القاهرة)، 2003، ص 30.

[2] سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة، أحمد الشامي، ط1، المشروع القومي للترجمة، الجزيرة (القاهرة)، 2002، ص 202.

[3] عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ص 44.

[4] عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، ص 44.

لقد تغيّر وضع الرواية في الحاضر مقارنة بالماضي، بحيث أصبحت المرأة تتحدث عن نماذج نسوية، ومواضيع أثارت الجدل في المجتمع، فأصبحت تتميز "بالحضور الطاغي للشخصيات الأنثوية، ووصف الشخصيات الأنثوية بالجرأة والاستقلالية والتحدي، والاستخدام الواسع لضمير المتكلم"[1]، وبهذا تحدت المرأة الكاتبة كل من يقف ضدها في أعمالها الروائية، ولم تتأثر بكل ما حُبك ضدها، وأصبحت معظم الشخصيات الرئيسة في الرواية النسائية نساء قويات، رافضات للظلم، ساعيات لصنع مستقبل أفضل.

فالمرأة اختارت أن تكوّن لنفسها هوية، وأن تبرز مكانتها في المجتمع، تماما مثل الرجل، "واختيار المرأة للكتابة يعني رغبتها في أن تكون وأن توجد وتحضر بالعقل والقوة، وتحقق ما يمكن اعتباره تجاوزا للوضع الحالي"[2]، وأرادت بالكتابة أن تقول للمجتمع إنها تستطيع أن تفعل مثل الرجل، وأن الإبداع عند الرجل هو نفسه عند المرأة إذا ما أتيحت لها الفرصة في ذلك. وبهذا استطاعت المرأة أن تخرج عن العادات شيئا فشيئا، فظهرت في الجزائر أسماء عدة، أمثال "آسيا جبار"، "زهور ونيسي"، "أحلام مستغانمي"، "فضيلة الفاروق"... الخ، وهن كاتبات تناولن مواضيع جد حساسة، من واقع المرأة المعاش.

3-المسكوت عنه في الرواية النسوية:

وظفت الرواية النسوية المواضيع المسكوت عنها في المجتمع، أو ما يعرف بالتابو الذي عرفه "حسين مناصرة" كما يلي: "تدل مفردة التابو Taboo على المقدس، أو المحرم، أو المحظور، أو المسكوت عنه، سواء أكان دينيا، أم جنسيا، أم سياسيا، أم عرقيا (قبليا)، أم غير ذلك. وتشير تحديدا إلى مناقشة أو كسر فرد أو فئة مواضيع دينية أو جنسية أو سياسية أو قبائلية "[3]، فتناولت المرأة قضايا حساسة خاصة بها، وتتكون هذه القضايا من كل شيء كان غير مباح للتعبير عنه، أو الممنوع من ذكره كموضوع الدين، الجنس، والسياسة.

أ- تابو الدين:

يعد موضوع الدين، أو الفهم الخاطئ للدين، موضوعا شاغلا للمرأة، بسبب انتشاره في المجتمع جراء فئات متعصبة تدعي معرفة الدين، تقوم بنشر عادات وتنسبها إليه، ويكشف تابو الدين "عن المرجعية الدينية التي تتلفّع بها المؤسسة الدينية، التي يرفضها الوعي الأنثوي في الكتابة، ويؤكد هذا الوعي في الوقت نفسه ضرورة الفصل بين المؤسسة الدينية، التي تخطئ في ممارستها للدين، والدين (الإسلام) بصفته دينا عادلا متسامحا"[4]. وقد

[1] ينظر: صبحة علقم، كتابة المرأة في مجتمع أبوي، https://aldjadeedmagazine.com، 01-09-2018، تاريخ الزيارة: 20-04-2019.
[2] علي زغينة، صالح مفقودة، علي عالية، السرد النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، م س، ص 18.
[3] حسين المناصرة، مقاربات في السرد، ط1، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 41.
[4] م ن، ص 61.

حاربت الرواية النسوية هذه الآفة التي تقيد المرأة وتحرمها من العيش بحرية، فنجدها مثلا ترفض إرغام الفتاة على لبس الحجاب أو النقاب واعتبارها عورة، وترفض فكرة أن المرأة خلقت للبيت، وتحريم العمل، والخروج والاختلاط، كما تحارب فكرة اعتبار المرأة ناقصة عقل، بحيث يتم تخويف النساء بحجة أن الدين هو الذي أمر بتغطيتهن كي لا يثرن شهوة الرجال.

ب ـ تابو الجنس:

تناولت المرأة موضوع الجنس وكسرت به كل الحواجز، "فتعد إشكالية العلاقات الجنسية غير الشرعية في سياق الحب قيمة أنثوية إنسانية، في حين تعد إشكالية آلية العلاقات الجنسية الزوجية الفاشلة، والمسكونة بالكره الأنثوي للذكور إلى حد الانتقام منهم"[1]. وتم ذكر العلاقات الجنسية في الرواية النسوية التي لم يجرأ أحد على الخوض فيها في المجتمع، بسبب التمسك الشديد بالعادات والتقاليد، فأصبحت المرأة تعبر عن مكبوتاتها دون خوف من أحد.

ت ـ تابو السياسة:

تحدثت الكاتبات عن القضايا السياسية، أو ما يعرف بتابو السياسة، حيث "يتلاقى تابو السياسة والقبيلة معا، ليشكلا مجموعة من الإشكاليات الضاغطة على مصائر الأفراد والجماعات، ... بحيث تغدو الأنثى محكومة بنسق سياسي قبلي مهيمن، وأن عليها أن تمتثل لما يفرضه هذا النسق من أعراف وتقاليد، ومن ثم أن تتحمل أيّة عقوبات رادعة في حال كسر التابو المهيمن"[2]، فتقوم تلك القوانين السياسية بالضغط على المرأة، وقد أدى ذلك الضغط إلى الخروج عن كل تلك القيم والأعراف، وقد تم التركيز على الوضع السياسي الذي عاشته الجزائر، خاصة المراحل الحساسة منها.

لقد كان الهدف من الخوض في مثل هذه المواضيع، توعية النساء بأن دورهن أكبر في المجتمع، إذ وجب عليهن امتلاك شخصية قوية لا تهزم، وتجاوز كل المحرمات التي تحجب عنهن العالم، ما سبب لهن العيش الدائم في الخوف من المجتمع الذي يجبرهن على تطبيق هذه القوانين.

4 – تصوير الرواية الجزائرية للوضع الأنثوي:

قامت الرواية الجزائرية بتصوير الوضع الأنثوي المزري الذي كانت تعيشه المرأة في المجتمع من خلال الكتابة، فتحدثت عن وضع المرأة في المجتمع والعائلة، كما تناولت الأوضاع التاريخية التي مرت بها الجزائر، كالثورة التحريرية، الاستقلال، العشرية

[1] حسين المناصرة، مقاربات في السرد، ص 53.
[2] م ن، ص 61.

السوداء... باعتبارها نقاط تحول، ويقول "صالح مفقودة" في هذا الشأن: "ونحن ندرس ونحلل ونبحث عن معالم صورة المرأة فيها نجد أنفسنا ملزمين بربط الرواية نشأة وتطورا بأهم الأحداث التاريخية والتحولات الاجتماعية التي أفرزت هذه الأعمال"[1]. فنجد مختلف الأحداث التي عاشها البلد في الرواية النسوية، عبر شخصيات مختلفة ونماذج تصور بها تلك الفترة، كما عالجت مختلف المشاكل التي تواجهها المرأة في المجتمع.

ومن أهم المواضيع التي تناولتها الرواية النسوية الجزائرية، والتي تمتّ بصلة قوية إلى وضعها، نذكر:

أ ـ تصوير المرأة الثورية:

كانت فترة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي من أبرز المراحل التي أظهرت فيها المرأة قوتها وشجاعتها وحبها لبلدها، نظرا لإسهامها الكبير في الدفاع عن الجزائر، فقد دعمت الرجل بكل ما استطاعت، وقاومت معه بكل قوتها، "وقد أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح بمساعدة الرجل"[2]، فلم يكن هم الناس في تلك الفترة سوى السعي نحو الاستقلال، ولم يكن عند الرجال مشكلة في خروج النساء ومساعدتهم، خاصة في إخفاء المجاهدين.

هناك روايات تناولت موضوع الثورة التحريرية، وقدمت نماذج لنساء ساعدن الرجال، فنجد ذلك عند "زهور ونيسي" في رواية "من يوميات مدرسة حرة"، حيث " تصور هذه الرواية معلمة تعمل في حي صلامبي، وكانت منخرطة في العمل الثوري، وتلتقي بالمجاهدين"[3]. وتحدثت الرواية عن إسهام المرأة في الثورة، ودور تلك المعلمة في إخفاء المجاهدين. وفي رواية "لونجة والغول"، للكاتبة نفسها، حديث عن دور المرأة في الثورة، وقدمت نموذجين لنساء خرجن للجبال، يتمثل الأول في "أرملة شهيد نفذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة، غير أن التحاقها بصفوف الثوار ليس أخذا بثأر زوجها فحسب، بل هو ثأر عام"[4]، فانخرطت هذه الأرملة في الثورة انتقاما لموت زوجها. أما النموذج الثاني فيتمثل في خالتي "البهجة"، "وهي امرأة طالق كانت تعمل في حمام الحي ثم صارت إضافة إلى ذلك تعمل لصالح الثورة"[5]. وهناك نماذج كثيرة لنساء جاهدن في سبيل الوطن، لهذا نجح الشعب الجزائري في إخراج المستعمر الفرنسي بفضل تكافل جهود أبنائه، الرجال منهم والنساء.

---

[1] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، دار الشروق للنشر والطباعة والتوزيع، بسكرة (الجزائر)، 2009، ص27.

[2] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 18.

[3] صالح مفقودة، المرأة الثورية في الرواية الجزائرية. "لونجة والغول" لزهور ونيسي "أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 02، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، جوان 2002، ص 04.

[4] م ن، ص ن.

[5] م ن، ص ن.

لقد تحملت المرأة كامل الصعاب من أجل وطنها، ورغم محاولة البعض إنكار ذلك إلا أنها أثبتت مكانتها.

ب – تصوير المرأة المتعلمة:

إن الدراسة هي سلاح المرأة، ونظرا لأهميتها فقد تناولت الروايات النسائية هذا الموضوع، الذي كان السبيل الوحيد للخروج من ظلام المجتمع. وقد نُظر إلى التعليم على أنه عمل سيئ، باعتبار المرأة خلقت إنسانا ضعيفا وجب إبقاؤه في البيت، وتكوين أسرة به، وباعتباره شخصا غير بالغ وجب مراقبته، وإذا غاب عن أعين الرجال انحرف. هذه هي أفكار بعض الرجال الذين يلبسون لباس الدين والتطرف، ويصدرون خطابات باسم الدين، تدين المرأة وتحتقرها، ويعتبرونها عورة وجب سترها في البيت.

لقد كان هذا الموضوع واردا في الرواية النسوية، نظرا لمعاناة المرأة طلبا للعلم، ففي رواية "مزاج مراهقة" لفضيلة الفاروق، نجد الشخصية البطلة "لويزا" ناجحة في دراستها، نجحت في شهادة التعليم الأساسي، ثم المتوسط، ما أثار غضب ابن الجيران، فتقول واصفة المشهد: " كان مناسبا أكثر حجر في الرأس رماني به ابن الجيران الذي احترق غيظا حين عبّره أحدهم: إنها بنت ونجحت وأنت رجل ورسبت"[1]. فيدل هذا المقطع على شعور الحقد لدى بعض الرجال إذا ما تفوقت عليهم امرأة.

وتضيف الراوية قائلة: "لم أجرؤ على الشكوى، خفت ضربة حجر أخرى"[2]. والسبب هو أن الرجال لم يريدوا نجاحها واعتبروا هذا النجاح إنقاصا من رجولتهم، ورغم اعتراض الكثيرين لها ظلت البطلة تحارب لكي تتعلم، فعند حصولها على شهادة الباكالوريا وضع لها والدها شرطا، هو ارتداء الحجاب، "ترتدي الحجاب وتذهب إلى الجامعة"[3]، وهذا دليل على عدم ثقة العائلة في البنت، بحيث تقيّد بالحجاب لكي لا تنحرف في الجامعة.

وتضيف الراوية في موضع آخر: "فيما بعد عرفت أن رجال العائلة عارضوا التحاقي بالجامعة، وأن والدي حاول إيجاد حل وسط لإرضاء جميع الأطراف"[4]. وهنا نلاحظ مدى

[1] فضيلة الفاروق، مزاج مراهقة، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2007، ص 11.
[2] م ن، ص ن.
[3] م ن، ص 12.
[4] فضيلة الفاروق، مزاج مراهقة، ص 12 .

سيطرة رجال العائلة الذين اعتبروا دراسة الفتاة في الجامعة شيئا سيّئا لأنها تكون بعيدة عن أنظارهم.

وهذا ما عانت منه أيضا شخصية "خالدة" للكاتبة نفسها في "تاء الخجل"، حيث رفضت العائلة التحاقها بالجامعة حينما قال عمها لوالدها: "كل بنات الجامعة يعدن حبالى، فهل ستنتظر حتى تأتيك بالعار؟"[1]. فقام بإخافة والدها لكي لا يسمح لها بالذهاب إلى الجامعة مرة أخرى، متذرّعا بشرف العائلة، ولكن والدها، لحسن حظها، لم يستمع إليه، وبعد فشل هذه الخطة تم اللجوء إلى خطة أخرى، وهي تزويجها من ابن عمها: "لكن سيدي إبراهيم اقترح شيئا آخر حين علم بالأمر، اقترح أن أُزوَّجَ لمحمود أو أحمد"[2]. وهذه الخطة كانت بهدف إبقائها تحت أعين العائلة، كي لا تلطخ سمعتها إذا ما انحرفت في الجامعة.

إن تدخل العائلة في حياة المرأة يؤدي إلى خلق مشاكل في حياتها، فتظل مقيدة طوال حياتها وتُمنع من الاستمتاع بحياتها بشكل عاد، بسبب الخوف من كلام الناس الذين يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة، وتحوَّلُ حياة المرأة الخاصة إلى حياة جماعية يشارك فيها أفراد المجتمع بآرائهم، ويمارسون عليها الاستبداد ويحصرونها في العقلية الرجعية المتخلفة.

ت ـ تصوير المرأة العاملة:

لقد أثار عمل المرأة جدلا كبيرا في المجتمع، بسبب وجود فئات لم تقتنع بخروجها، وترى أنه إنقاص من قيمة الرجل، واحتقار له. ورغم صعوبة الوضع، إلا أن المرأة ناضلت، وبكل الوسائل الممكنة، لتكون لنفسها مكانة مرموقة في هذا المجتمع، وأصبحت تمارس نشاطاتها مثل الرجل، وتتعاون معه في الحياة اليومية. ولكن، إلى حد اليوم، بقيت فئة من العقول الرجعية التي تعيب عمل المرأة وتحرّمه.

لقد مارست المرأة عملها رغم الرفض الذي قابلها به المجتمع الذي يعيب خروجها، بحيث تناولت الروائية مواضيع عدة عانت منها في حياتها، فنجد في "تاء الخجل"، "خالدة" الصحفية الناجحة التي تقوم بتغطية الأحداث، فتقول: "انضممت إلى جريدة الرأي الآخر المعارضة"[3]. فبعد أحداث الاغتصاب التي عانت منها نساء كثيرات في تلك الفترة، بعثها المحرر للقيام بمقابلات مع الضحايا في المستشفى، وقد تم اغتيال عدد كبير من الصحفيين آنذاك، ورغم ذلك لم تستسلم "خالدة"، وهذا ما يظهره المقطع الآتي: "أظن أننا شيئا فشيئا توحّدنا بعد أن قُتل منّا اثنان"[4]. وهذا يدل على صمود المرأة وقوتها في وقت الصعاب، رغم

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2003، ص 28.
[2] م ن، ص 30.
[3] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 34.
[4] م ن، ص 35.

الخطر الذي تتعرض له مهنة الصحفي، ورغم تعرض الكثير من النساء للقتل على أيدي الإرهاب.

ذكرت الراوية نموذجا آخر لصديقتها "كنزة"، التي كانت تعمل في المسرح ثم قررت أن تترك مهنتها، والعودة إلى منزلها، بسبب الإهانات التي تتعرض لها كل مساء، تقول: "إنني أرشق بالحجارة من طرف الأطفال، والجمهور نفسه الذي يصفق لي ليلا بعد العرض، يصفني بالعاهرة نهارا"[1]. يدل هذا على بشاعة المجتمع الذي تعيش فيه المرأة، حيث تقتل المواهب، ولا يتم تشجيعها، وينظر إلى المرأة العاملة في المسرح كعاهرة، وتتهم في شرفها. ولكن الناس يذهبون لحضور العروض ويستمتعون بها، وفي اليوم التالي يكون لهم رأي آخر، ويبدؤون بتشويه صورتها.

وفي رواية "مزاج مراهقة"، نجد البطلة "لويزا والي"، التي امتهنت أيضا الصحافة بعد حبها الكبير الاطلاع على الروايات، وحبها للقراءة والكتابة، بعدما تعرفت "يوسف عبد الجليل"، الذي يعمل في الإعلام، وكان يكتب روايات أيضا، فأعجبت بكتاباته، وأصبحت بعد ذلك تكتب مواضيع وتقدمها له، قدمت له ذات مرة خاطرة طويلة عن الأم، وانبهر بها، فطلب منها أن تكتب كل أسبوع، قال لها: "سأفرد لك عمودا شرط أن تكتبي نصوصا أقوى، لكل أسبوع عمود"[2]. وأثنى على موهبتها في الكتابة.

وفي رواية "الأسود يليق بك" لـ "أحلام مستغانمي" نجد البطلة المسماة "هالة الوافدي"، المغنية التي عملت أيضا معلمة تلبية لرغبة والدها، "الذي أراد لها مهنة لا يُسمع فيها صوت، إلا بين جدران الصف الأربعة"[3]، حيث اعتبر والدها أن مهنة التعليم أفضل مهنة للمرأة. كما عملت أيضا مغنية بعد وفاة والدها مقتولا، فأرادت أن تتبع طريقه في الغناء، قررت ذلك لكي يتبين لقاتله بأنها قوية وستكمل المشوار، ولن تبقى في البيت تبكي وتستسلم، لكي لا يشعر القاتل بالانتصار. قالت: "إن واجهتهم بالدموع يكونوا قد قتلوني أنا أيضا"[4]، فكان عدم استسلامها دليلا على قوتها.

إن عمل المرأة ساعد في تحررها واستقلاليتها، وتحويلها إلى كائن مسؤول، له مكانة في المجتمع، وقد جاء هذا نتيجة الصبر والقوة التي كانت تتحلى بها لمواجهة كل أنواع الصعوبات التي واجهتها في حياتها.

ث – تصوير المرأة المراهقة:

[1] م ن، ص 39.
[2] فضيلة الفاروق، مزاج مراهقة، ص 153.
[3] أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، دار نوفل للنشر، بيروت، 2012، ص 27.
[4] م ن، ص 16.

تعتبر مرحلة المراهقة مرحلة مهمة في حياة المرأة، حيث تتغير فجأة من الطفولة إلى المراهقة، وتبدأ علامات البلوغ تظهر عليها فكريا وجسديا، وهي مرحلة حساسة. وتتميز الفتاة المراهقة بمحاولتها لتغيير شكلها، والتأثر بأي شيء يحدث أمامها، وبالمزاجية، وغير ذلك من الصفات.

ونجد هذا متجسدا في رواية "مزاج مراهقة"، بحيث تعيش "لويزا" ثلاث قصص حب في مرحلة المراهقة، أولها مع ابن عمها "حبيب"، الذي وقعت في حبه فجأة بعدما رافقها للتسجيل في الجامعة، ولكن سرعان ما انفصلا عندما فهمت أنه مثل رجال العائلة. وبعدها أغرمت بـ "يوسف عبد الجليل" الكاتب، عندما رأته لأول مرة، فسحرها شكله، رغم أنه أكبر منها بكثير. أما الثالث فهو "ابن يوسف" واسمه "توفيق"، وقد أحبها وهي لم تبادله الشعور، ولكن أرادت أن تتركه احتياطا، فتقول معبرة عن هذا التقلب في مزاجها العاطفي : "كان لي مزاج مراهقة، كما كان يقول لي توفيق دائما بسبب تلك الأحلام التي لا تكف عن مجالستي وفصلي عما يحدث في الدنيا"[1]، حيث كانت تعيش أحلام متقلبة، وقد اعترفت بأنها لا يمكنها اتخاذ قرارات حاسمة في حياتها، هذا ما يظهره المقطع الآتي: "كيف يتعلق شاب ناضج مثله بمراهقة مثلي، تعيش في خصام شبه دائم مع أنوثتها"[2]، ما ينمّ عن سرعة اتخاذ القرارات ثم الندم، وتغيير الرأي فجأة.

تميزت "لويزا" بالاندفاع، فعندما تعرضت للضرب في مركز الاقتراع، لأنها لم تنتخب أحدا، عادت إلى البيت، ومن شدة الغضب نزعت الجلباب وقصت شعرها: "سأكون مجنونة إذا تقبلت جسد الأنثى الغبي الذي يكبلني، ولو كنت رجلا لقتلت الوغد... كنت باصيت خيرلي من هذه الإهانة "[3]، وتضيف: "إذا كان الحجاب يسمح لوغد مثل هذا أن يصفعني أمام الملأ ويتدخل في حياتي أعطيته له. لن أرتديه بعد اليوم"[4]. إذ حمّلت الحجاب مسؤولية احتقار الرجال للنساء، وتعتبر المرأة المحجبة التي أجبرت على ارتدائه كائنا ضعيفا يطيع الأوامر، وبمقدور من يشاء احتقارها.

كما نجد أيضا في رواية "اكتشاف الشهوة"، معاناة البطلة في مراهقتها، ورغبتها في أن تصبح طفلا، تقول "بامي": "رغبتي الأولى أن أصبح صبيا، وقد آلمني فشلي في إقناع الله برغبتي تلك، ولذلك تحولت إلى كائن لا أنثى ولا ذكر"[5]. وتولد عن هذا الشعور إحساس بتفضيل شقيقها عليها، لأن له شخصية قوية، ويطيعه كل من في المنزل، ولهذا أطالت أظافرها: " كنت الصبي ذا الظفار الطويلة، والقدمين الوسختين... كنت صبيا مشوها بخلق

[1] فضيلة الفاروق، مزاج مراهقة، ص 117.
[2] م ن، ص 12.
[3] م ن، ص 55.
[4] م ن، ص ن.
[5] فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، ص 14

عالمه الخاص في أزقة قسنطينة القديمة"[1]. لكن رغم محاولتها التشبه بالرجال إلا أن جسمها ظل جسم امرأة، وبقيت كل محاولاتها لصنع شخصية أخرى أحلاما يستحيل تحقيقها.

إن ما يجعل المرأة تحاول أن تكون رجلا في لباسها وتصرفاتها، هو الهروب من ذلك الوضع الذي تعيشه كأنثى في سن المراهقة، بحيث لا يستوعب عقلها ذلك الفرق الموجود بينها وبين شقيقها في الحريات، فتهرب من أنوثتها لتكون فتى، ولكن لا تفلح في هذا، حتى لو غيرت شكلها.

ج – تصوير المرأة المطلقة:

تعاني المرأة المطلقة في المجتمع من النبذ والنظرة سيئة، وللأسف حتى أهلها يعتبرونها كائنا غريبا عنهم، فالعائلة لا ترحب بالمرأة المطلقة، ومهما كانت أسباب طلاقها لا يقبلون بها، المهم عندهم أن تبقى مع زوجها، فحتى لو خانها أو ضربها وجب عليها أن تصبر، وتنتظر أن يتغير، ففي الماضي لم تكن هناك نسبة كبيرة من الطلاق مقارنة بالحاضر، وهذا بعد إعطاء النساء الحق في طلب الخُلع، ولكن المجتمع ما زال متمسكا بأفكاره السيئة عن المرأة المطلقة، وتستقبل من طرف أهلها بنظرة الكره وعدم الرضا عما فعلته.

صورت "فضيلة الفاروق" في "اكتشاف الشهوة" معاناة البطلة "بامي" التي تزوجت رغم إرادتها من شخص لا تطيقه بسبب إلحاح أهلها عليها. عاشت معه في فرنسا أسوء أيام حياتها، وعندما أرادت الطلاق عادت إلى الجزائر، وواجهت أهلها بهذا الخبر، فصُدموا جميعا، ولم يقتنعوا به. فطلب منها أخوها "إلياس" أن تعود إلى زوجها رغما عنها، فقال لها: "ستعودين إليه في أقرب فرصة، وستركعين أمامه مثل كلبة، وستعيشين معه حتى تموتي"[2]. فلم يهتم بالأسباب، كان تفكيره الوحيد هو أن تعود إلى زوجها قبل انتشار الخبر. أما أختها فهي الأخرى أرادت إقناعها بالعودة إلى زوجها قائلة: "كيف ستعيشين مطلقة وسط الرعاع، غدا سترين الرجال كيف سيتحرشون بك، وكيف ستحاك حولك الحكايات، وكيف ستصبحين عاهرة أمام الجميع دون أن يرحمك أحد"[3]. فكانت الأخت تحذرها من عواقب هذا القرار، ومما ينتظرها وسط المجتمع، وكيف سيضرها ذلك.

و في "تاء الخجل" ذكرت الكاتبة حالتها، على لسان البطلة، مؤكدة أن والدها كاد أن يطلق والدتها لأنها لم تنجب صبيانا، ولكن عادت فيما بعد، بعد أن تشاورا، وقبلت أن يعاود الزواج عليها: "ومنذ ذلك اليوم، لم نعد نرى والدي إلا مرة أو مرتين في الأسبوع، وفيما بعد عرفت أنه تزوج امرأة، كان بإمكانها أن تنجب له أطفالا ذكورا، ما دامت أمي غير قادرة

[1] م ن، ص 15
[2] فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، ص 83
[3] م ن، ص 85

على ذلك"[1]. فالمرأة تتعرض للطلاق لأسباب ليس لها معنى، حتى إن لم يكن لها دخل في عدم إنجاب الأولاد، إلا أنها تقبل ذلك ضعفا وظلما وتلبية لحاجة الرجل، ولو كان ذلك على حسابها.

تتعرض المرأة المطلقة للإهانة في منزل والدها، بسبب عدم تقبل أفراده لها، فتعاني من الاحتقار داخل العائلة والمجتمع، وتصبح سيرتها على كل لسان، لأنها لا تملك من يدافع عنها، فتعيش مذلولة وخادمة لدى ذويها وأقرب الناس إليها.

ح – تصوير المرأة المغتصبة:

تتعرض العديد من النساء للاغتصاب من طرف الرجال الذين ينظرون إليهن على أنهن جسد لتفريغ شهواتهم. وتعاني المرأة المغتصبة في المجتمع بلومها ومعاتبتها، بينما لا يُلام من اغتصبها لأنه رجل، وهي امرأة. حتى عائلتها تنكرها وتنبذها طوال حياتها، إذ تعتبر الملامة الوحيدة، وتكثر عليها الحكايات، بأنها هي من عرضت نفسها لهذا، بسبب لباسها أو خروجها، وغير ذلك من الأسباب.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع، حاولت "فضيلة الفاروق" تصوير وضع المرأة المغتصبة في رواية "تاء الخجل"، فقدمت لنا نماذج لنساء تم اغتصابهن في فترة العشرية السوداء في الجزائر من طرف الإرهاب، وتم وضعهن في المستشفى، فمنهن من أصبحت حاملا، وأضحت حالة البقية حرجة للغاية، لا يتمنين شيئا سوى الموت، بسبب عدم تقبل العائلة، والمجتمع لهن، بعدما تعرضن لأقسى أنواع التعذيب. فتقول إحدى المغتصبات: "إنهم يأتون كل مساء ويرغموننا على ممارسة العيب، نستنجد، نتوسلهم، نقبّل أرجلهم ألا يفعلوا ذلك ولكنهم لا يبالون"[2]. فما أصعب ما عاشته النساء في تلك الفترة من تعذيب، واغتصاب وقتل. ويضاف إلى هذا نبذ المجتمع والأسرة، تقول "يمينة": "كنا ثمانية قتلت منا واحدة، قتلت أمامنا ذبحا بمجرد وصولنا لأنها رفضت الرضوخ للأمير"[3]. تم قتل الفتاة أمام الملأ قصد تخويف البقية وترعبيهن.

قدمت لنا الكاتبة نموذجا آخر لامرأة تُغتصب من طرف زوجها، في رواية "اكتشاف الشهوة"، حيث تعرضت فيها البطلة "بامي" للاغتصاب، وبالرغم من كون المغتصب زوجها، إلا أنه عاملها بوحشية وعنف كبيرين، ولم يبالي بشعورها، لأنه لا يحبها، وله علاقات مع نساء أخريات، فتقول: "حتى حين يمارس الجنس معي يفعل ذلك بعكس رغبتي تماما... كان يقوم بالعملية وكأنها عملية عسكرية مستعجلة يسلمني بعدها للأرق، لأن ما يحدث لجسدي لا يختلف كثيرا عن أية كارثة طبيعية تستلزم فريقا من النجدة للملمة ما

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 20
[2] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 45.
[3] م ن، ص 48.

حدث"[1]. وصفت الضحية الحالة التي تعيشها مع زوجها بالكارثة، نظرا لبشاعة العيش مع رجل يغتصبها، لكنه في نظر المجتمع زوجها، وله الحق في ذلك، وما عليها سوى القبول.

قدمت الرواية النسويّة الجزائرية نماذج مختلفة لنساء جزائريات في مختلف المجالات والأعمار، وأظهرت معانتهن الكبيرة في المجتمع، والصعوبات التي يتعرضن لها، سواء في الدراسة أو العمل، أو الزواج... الخ. فالرواية النسوية تعالج مواضيع تعيشها المرأة، لتوعية القارئ بوجوب تغيير الفكر في المجتمع، كما تقوم بالمطالبة بالمساواة مع الرجل وعدم احتقار المرأة، ومن النماذج التي قدمتها الكاتبات، نساء ناجحات، عاملات، قويات، حاربن التقاليد والأعراف لتحقيق النجاح.

تدعو الرواية النسويّة لمحو فكرة المجتمع الذكوري الذي كان سببا في قمع المرأة، والتدخل في شؤونها، وهذا ما أدى إلى حرمان الكثير من النساء من حق الدراسة، والتعليم، بسبب خوف الأهل من خروجهن، وانحرافهن، مما أدى بهن للعيش ذليلات حتى في منازل أزواجهن، فلا أحد سيحترمهن لأنهن لا يملكن في يدهن أي سلاح ليواجهن به العالم أو الوقوف في وجه من ظلمهن.

[1] فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، ص 11-12

الفصل الثاني: صور التمرد الأنثوي ومداه في رواية "تاء الخجل" لـ"فضيلة الفاروق":

المبحث الأول: مظاهر التمرد في رواية "تاء الخجل"

المبحث الثاني: حدود التمرد ومعوقاته

المبحث الأول: مظاهر التمرد في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق:

التمرد بمفهومه الشامل ظاهرة من الظواهر الحديثة، وهي عبارة عن العصيان والخروج عن المألوف، كما أنه تجاوزٌ لكل القواعد والقوانين التي تحكم الفرد، وهذا يؤدي إلى الخروج عن عادات المجتمع وحتى بعض تعاليم الدين، فيعد "التمرد من النتائج المحتملة للاغتراب من المجتمع والخروج عن معاييره وقيمه، والسعي لتغييره بطريقة ثورية أو إصلاحية أو فوضوية أو إيجابية"[1]. ففي عدم تقبل الفرد مجتمعه كما هو، بكل ميزاته وعاداته وقواعده، رغبة في تجاوز كل هذا والسعي إلى التغيير، وأمثلة ذلك كثيرة، فالتمرد في الوسط الجامعي، مثلا، "يشير إلى فشل الطلاب في التكيف مع مجتمعهم، والتمرد على كلياتهم...، وينظر البعض إلى التمرد بوصفه هو الشعور بالإحباط ورفض لما هو اجتماعي..."[2]. فيخلق فيه نوعا من التحدي وقوة للتغيير وتجاوزا للمألوف.

أما علم النفس فقد اعتبر التمرد من "المشكلات النفسية والسلوكية التي تلاحظ بشكل كبير في المراهقة، ويعود ذلك إلى ما تتصف به هذه المرحلة من تغيرات فسيولوجية ونفسية وانفعالية تؤثر في سلوك المراهق. وتمتاز هذه المرحلة بزيادة الصراعات والتوترات النفسية ونتيجة ذلك يشعر بالغربة والضياع فيتمرد على العادات والتقاليد"[3]، إذ تتغير حياة المراهق نفسيا وجسديا، وهذا التغيير الحاصل يجعله يحس بالوحدة، ما يؤدي به إلى الهروب من كل ما يقيده.

كما فسر العالم النفسي "ماندل Mandel"، التمرد على أنه "أزمة جيل الشباب وجيل الكبار، وسبب هذه الأزمة هو التقدم الحضاري والثورة الصناعية"[4]. أي إن التمرد يعود إلى صراع الأجيال، حيث يؤدي إلى ظهور نوع من النزاعات تؤدي بذاتها إلى التسلط والعدوانية والعنف.

لا يقتصر التمرد على الفئة الشبابية أو المراهقين فحسب، بل يحتل إطارا عميقا في كل المجتمعات، فأخذ يظهر في كل المجالات، من بينها المجال الأدبي، وخاصة الجنس الروائي، فقد ظهر التمرد في روايات عديدة ومختلفة، خاصة روايات الأدب النسوي، الذي عُرف أنه أدب جريء ومتمرد ومتحرر. ومن بين الروائيات الجزائريات اللواتي عرفن بالجرأة والتمرد في كتاباتهن، نجد الروائية "فضيلة الفاروق"، التي تمردت بشكل لم يعتد عليه المجتمع الجزائري، فتجاوزت المألوف وكسرت الحواجز.

---

[1] مروه ضياء خفيف، مها رحيم حسن، نور أحمد حسين، التمرد النفسي، بحث لنيل شهادة البكالوريوس في الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، إشراف صفاء حسين، جامعة القادسية، كلية التربية للبنات، قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، العراق، 2018، ص 5.

[2] م ن، ص 4.

[3] م ن، ص 3.

[4] إقبال رشيد صالح الحمداني، الإغتراب، التمرد قلق المستقبل، ط 1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2011، ص 153.

وتحدثت "الفاروق" عما كان مسكوتا عنه، وهذا هو حال كافة كتاباتها، وسنخصّ بالدراسة في هذا الفصل التطبيقي رواية "تاء الخجل"، حيث تناولت فترة حساسة عاشها المجتمع الجزائري، في التسعينيات بالخصوص، وما تعرضت له المرأة، فنلاحظ بروز مظاهر التمرد في الرواية وعمق دلالتها، وهذا ما سنتناوله في العناصر التالية:

1- التمرد على العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد هي أعراف يمشي عليها أفراد المجتمع، وتختلف من بلد إلى أخر، فهي قيم متوارثة عبر الأجيال بني عليها المجتمع، فصارت جزءا لا يتجزأ منه، فهي قواعد وضوابط لا يمكن تجاوزها. لكن مع حدوث الأزمة وتعاقب الأجيال وقع نوع من التجاوز، ذلك أنها قيدت حرية الفرد، وصارت تخنقه في صورة عادات سائدة لم يعد يُعمل بها في زمن التطور والتكنولوجيا. كما أن هذه العادات تسجن المرأة بصفة خاصة، وبشكل كبير، ما جعل الكاتبات الجزائريات يكتبن بكل جرأة وتمرد للتخلص من هذه العقبات القبلية.

2- التمرد على رجال العائلة:

يعود تمرد "خالدة" على رجال العائلة إلى أسباب عدة جعلتها تكره ذاتها كأنثى، لأن رجال عائلتها يهمشون المرأة ولا يمنحونها أدنى أهمية، فيظهر ذلك في روايتها "تاء الخجل"، من خلال المقطع الآتي: "أما ما يجعلني أفقد أعصابي فهو فترة الغذاء يوم الجمعة، إذ علينا نحن النساء أن ننتظر عودة الرجال من المسجد، وبعد أن ينتهوا من تناول الغذاء يأتي دورنا نحن النساء"[1]. فهذه الأولوية الممنوحة للرجل حتى في الأكل جعلها تحقد عليهم.

كانت الراوية تتمرد على كل ما يحيط بها، من أفراد، وعادات، وحتى المحيط الذي تعيش فيه، فهي لا تشبه هذا العالم في شيء، تختلف عن الجميع اختلافا كليا، فكانت تروي لحبيبها مدى كرهها لقريتها وعاداتها، وحتى أفراد عائلتها التي تنتمي إليها، فتقول: "أريس مزعجة، كثيرا ما قلت لك هذا رجالها مزعجون، نساؤها ثرثارات، وأطفالها مخيفون"[2]. هذا ما جعلها تتبع طريق التمرد، لتبين ذاتها واختلافها عن الآخرين، الذين يحيطون بها، ويحسسونها بالاختناق.

وقد وصفت نفسها بالمتنصتة إلى حديث أفراد العائلة، حيث تقول: "كثيرا ما اختبأت في الزوايا المظلمة، وتسللت إلى كل غرف النوم التي تمنع على الأطفال منعا باتا اقتحامها... وأصغي إليهن... سمعت ذلك من العمة تونس..."[3]. ويوحي هذا المقطع بأن

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 24.
[2] م ن، ص 25.
[3] م ن، ص 16.

الراوية تجد متعة في القيام بأشياء ممنوعة على الصغار أمثالها، وهذا يدل على بروز سلوك التمرد لديها منذ الصغر، وتناميه مع السن.

كانت البطلة – الساردة - تكره نفسها لأنها أنثى، نظرا لما يتمتع به ذكور العائلة من أولوية في كل شيء، فتقول في هذا الشأن: "كان يزعجني أن أرى سيدي إبراهيم في موقع السلطان، وأعمامي وأبناءهم حاشيته المفضلة يجلسون في غرفة الضيوف... ينتظرون خدمتنا لهم"[1]. كان همّ نساء العائلة وبناتها خدمة الرجال وحسب، لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إلى البطلة، حيث كانت متمردة وثرثارة، هذا ما يميزها عن البنات الأخريات، وهذا ما يثير غضب رجال العائلة ويخوّف نساءها، حيث تقول: "سمعت العمة تقول أنني خفيفة، ولهذا سأجد متاعب مع رجال العائلة "[2]. وأضحى أولئك الرجال ذاتهم خائفين من تمرّدها، اعتقادا منهم أنه سيُمسّ شرف العائلة.

3- التمرد على عادات الزواج:

كان رجال العائلة يتحكمون حتى في الزواج، فالكلمة الأخيرة بالرفض أو القبول تعود إليهم، لا مجال للفتاة في مناقشة الموضوع، ويتجلى ذلك حينما أرادوا إرغام "خالدة" على الزواج من قريبها. تقول واصفة قرارهم المستبد: "أنت هربت، وهناك في بيتنا القرار اتخذ"[3]. لكن هذا لم يجعل البطلة تخضع لرغبة رجال عائلتها.

روت "خالدة" من جهة أخرى تفاصيل عرس، كانت قد دعيت إليه، فراحت تسرد الأحداث بكل تفاصيلها، وحتى العادات الممنوعة، كالتصفيح فهي طقس تقوم بها النساء قديما للحفاظ على شرف الفتاة غير المتزوجة، والسبب ما وقع في العشرية السوداء من اغتصاب العديد من الفتيات، فاتّجه الناس إلى هذه العادة للحفاظ على الفتاة، وهي عبارة عن جملة تقال من طرف شخص معين، بالأخص من عجوز طاعنة في السن لتقفل الفتاة، كأنها شيء يقفل بالمفتاح، ما يعني أنه: "بفعلها كان الغلق وبيدها يكون الحل والفرج قبل ليلة دخلة الفتاة المصفحة، والتصفيح طرق متنوعة ومتعددة ..."[4]. فيعتقد أن بهذه الطريقة ستكون الفتاة محمية من خطر الاغتصاب.

علقت "خالدة" على المشهد الذي شاهدته في العرس، قائلة: "صورة العرس الكئيب الذي حضرته البارحة مازالت جرحا في ذاكرتي... خرج العريس من الغرفة وهو يتصبب عرقا، هجمت النساء على العروس، كانت تبكي وسمعتهن يرددن إن العريس لم يفعل شيئا...

---

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 24.

[2] م ن، ص 15 .

[3] م ن، ص 30 .

[4] سوسن أبرادشة، المحكي والممنوع في روايات فضيلة الفاروق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف خير الدين دعيش، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف 2، الجزائر، 2014، ص 101.

وبعد ساعة جاء شيخ إلى البيت اختلى بالعروس... عاود العريس الدخول، وخرج محمد بعد قليل..."[1]. وتحدثت الساردة فيما يخص الزواج أيضا عن نقطة حساسة جدا، كانت تعتبر عيبا في مجتمعنا الجزائري المحافظ، وهي المعاملة التي تعامل بها العروس في ليلة زفافها، وهذا ما جعلها تشمئز من الموضوع، مقرة ببشاعة ما تقاسيه العروس، إذ "يصدم فيها زوجها الذي هو حبيبها، ويفجر في رجولته، لأنه لم يستطع أن يكون رجلا معها في أول ليلة لهما، ولأنه من دون شك قد حضّر لهذه الليلة كثيرا، فكيف الحال به إذا وجد نفسه مقيدا أمامها، أمام من اختارها قلبه وعقله على حد سواء لأن تكون مؤنسته ورفيقة دربه"[2]. هذا ما ولد في نفس "خالدة" نوعا من الخوف تجاه الزواج، إذ ترى أنه انتهاك لجسدها، في حين يجب أن يكون رباطا مقدسا بين اثنين، يبنى على التفاهم، وتبادل المشاعر واحترام رغبة الآخر.

4- التمرد على الدين :

استخدمت الساردة في روايتها ألفاظا دينية، تجسد أغلبها في صورة عبارات قلبت معانيها وحرفت عن أصلها، لتخرج عن المألوف الديني، وهذا يعد في حد ذاته تمردا على الدين الحنيف، فقد تجرأت على المساس بما يفترض أن يظل صافيا نقيا كما توارثه الأجيال، وهذا ما نراه في المقطع التالي، فتقول: "اللهم زنّ بناتهم، قالوا آمين، وحتى حين قال: اللهم يتم أولادهم، قالوا آمين". فلم ينص الدين على ما ورد في المقطع السابق، إلا أن الإرهاب كان يغتصب الفتيات باسم الدين، ما جعل "خالدة" تنظر إلى الإسلام بهذه النظرة الخاطئة تنديدا منها بالتطرف، لذا "استعملت الكاتبة في روايتها العديد من الخطابات الدينية، حيث داخلت بينها وبين الخطاب السياسي، وقد عرف مؤخرا، وفي كتابة الرواية على الأخص، التلاعب بمفهوم الدين عن طريق تفسيرها وتأويلها بأشكال تسيء لمكانة الدين العظمى"[3]. لذا فتمرد "خالدة" على الإسلام واضح من حيث لغتها وألفاظها، لكنه يمس بدرجة خاصة مواضع الألم التي أبقت المرأة جريحة النفس والجسد.

5- التمرد على السياسة :

نلاحظ أن "خالدة" تحدثت، وبشكل كبير عن الوضع السياسي والثورة التي كانت تعيشها الجزائر في التسعينيات، فكان الوضع مخيفا وغير مستقر، جراء ما كانت تتعرض له النساء خاصة من اغتصاب من طرف الجماعات الإرهابية المستبدة آنذاك، فمقامها كصحفية أعطى لها الحق، وبكل جرأة، أن تكتب عما كان يرتكبه الإرهاب من جرائم بشعة في حق الإنسانية، فتقول على لسان الراوية: "سنة 1994 التي شهدت اغتيال 151 امرأة، واختطاف

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 26.
[2] سوسن أبرادشة، م س، ص 102 .
[3] سوسن أبرادشة، المحكي والممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص 104.

12 امرأة في الوسط الريفي المنعدم، ثم ابتداء من عام 1995 أصبح الخطف والاغتصاب إستراتيجية حربية، إذ أعلنت الجماعات الإسلامية المسلحة (GIA) في بيانها الصادر في 30 أفريل، أنها قد وسعت دائرة معركتها"[1]. فرغم أن حياتها كانت مهددة، إلا أن هذا لم يمنعها من الكتابة عما كان يحدث في فترة المحنة، ولم تغبّب تفاصيل السياسة وأحوال المجتمع ووقائع حياته اليومية.

6 - التمرد في العمل:

إن "خالدة" باعتبارها صحفية، كانت تكتب عما كان يحدث في العشرية السوداء، وعن الضحايا التي تعرضت لكل أنواع الاغتصاب والعنف، إلا أنها لم تجرأ على كشف أسماء الفتيات اللواتي أجرت معهن المقابلة في المستشفى حفاظا على سمعتهن، فلم تكن راغبة في التشهير بهن، فهنا يظهر تمردها حين رفضت ما طلبه منها الرئيس أو رب عملها، فتقول: "توقف عن الحركة قليلا، أطفأ سيجارته قبل أن يدخنها، وعاد إلى مكانه ثم قال:

ما الذي حدث في المستشفى؟

عدت إلى واقعي أكثر وأجبت:

إنها مأساة!

اكتبيها إذن.

لا...

نعم؟

لا، لن أكتب شيئا عنهن؟"[2].

فكانت ترى أنها إن فضحت تلك الفتيات فكأنها فضحت نفسها، لأنها أيضا أنثى.

كانت تفكر أيضا في نظرة الذين يعرفونها إن قامت بفضح تلك الفتيات، فتقول في حديث نفسي: "أأفضح يمينة ؟

أأفضح نفسي ؟

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 36.
[2] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 58.

غدا سيقول الأقارب والأهل وكل من يعرف اسمي: (هذه ابنة عبد الحفيظ مقران تفضح واحدة منا)"[1]. لذا فضلت التمرد على مديرها بدلا من أن تفضح الفتيات، وتصبح نظرة المجتمع إليها غير مختلفة عن نظرة المجرمين الذين اغتصبوا الضحايا.

7 - التمرد على الأنوثة:

لم تكن "خالدة" راضية بقدرها الأنثوي، نظرا للتهميش الذي تعيشه المرأة في المجتمع، فكانت مختلفة عن بنات جيلها، ترغب لو تكون ذكرا، فتقول في أحد مقاطع الرواية: "لا شيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع، وانتهاك كرامة النساء، لهذا كثيرا ما هربت من أنوثتي "[2].

كانت أنوثتها تسبب لها عقدة نفسية أو نقصا جعلها تكره ذاتها، إذ تقول: "عشت الحيرة لأول مرة، أبصفِّ النساء أنا أم بصفِّ الرّجال؟"[3]. هذا ما جعل نساء العائلة يرونها متمردة ومختلفة عن بناتهن، فكانت مختلفة حتى في اهتماماتها، إضافة إلى كل هذا، لا تخضع لقوانين العائلة التي تجعل المرأة كائنا مهمشا دون رأي ولا حياة ولا رغبات.

8 - التمرد في الحب :

تحدثت "خالدة" عن قصة حبها بكل جرأة، في حين كان هذا الأمر فيما مضى ولا يزال غير مقبول لدى المجتمع، وفي ذلك معارضة صريحة لقوانين المجتمع وعاداته، فكانت تتحدث عن حبها بكل حرية ودقة. حيث تقول :"عشت أجمل قصة حب في ذلك الزمن الباكر، ومعك في الغالب كنت أنسى قساوة الرجال، لكنه بستان الأشواك الذي يحيط بك، أتذكر ذلك الطوفان الذي كان يغمرنا معا أنا وآنت ؟

أتذكر صخب عيوننا ؟

أتذكر أجمل السنوات التي أمضيناها معا؟"[4].

رغم كرهها الشديد للجنس الذكوري، إلا أنها كانت ترى حبيبها بنظرة أخرى مختلفة عن باقي الرجال، وبذلك تصبح فضيلة الفاروق، عبر شخصيتها المتمردة "كاتبة مبدعة، تتحدث في روايتها عن المحظور، أي هذه النقطة العائمة، التي تتأرجح بين الشعور واللاشعور، ومن ثم يكون التميز مقارنة مع جيلها من الكاتبات، على هذا النحو تبرز لنا

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 57.
[2] م ن، ص 12.
[3] م ن، ص ن.
[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 12.

ظاهرة الحياة، التي تؤكد وجودها في قلب الألم اللذيذ نفسه..."[1]. وهذا ما يمنح الكاتبة منزلة مختلفة ضمن أدبيات جيلها ويطبع أعمالها بالجرأة الأدبية.

9- التمرد في الجنس :

ظل موضوع الجنس موضوعا مسكوتا عنه غير محكي فيه، لكن فضيلة الفاروق تجاوزت هذه القاعدة، فتحدثت عنه بكل جرأة، حيث "يبقى الجنس أكثر المواضيع المعتمة والمسكوت عنها، وهو الموضوع الأقل تداولا وتناولا حتى كدراسة نظرا لما يخيم على هذا الأمر من خطوط عريضة حمراء يمنع تخطيها وكشف ما وراءها، فالجنس قضية معلقة إلى شعار لاحق، لا يمكن النقاش فيه"[2]. وفي التطرق إلى مثل هذا الموضوع جرأة كبيرة لدى المرأة، نظرا لحساسيته، حيث لم يسبق للرواية الرجالية التحدث عنه بهذه الجرأة من قبل.

ليس هذا فحسب، بل حتى الدين كان قد نبذ الجنس، وجعله سيئا لا يجب الإفصاح عنه، لذلك "فعلاقته مع الدين والسياسة تبقى أيضا طي المسكوت عنه، فلا هو بالمرفوض كليا ولا هو بالمقبول المصرح به، إنما حسب مصالح الدين أو السياسة يكون الرفض أو القبول والاعتراف به وبشرعيته"[3]. لكن هذا لم يمنع فضيلة الفاروق من الكتابة والتصريح بأمور عديدة ترتبط به.

الجنس في المنهج التحليلي الفرويدي هو "عقدة الحياة النفسية، وأن بطريقة مبالغة فيها أحيانا كثيرة بسبب السقوط بالتشبثية، ومن جهة التأكد على أن الأسلحة المدنية، والأدوات الطويلة الصلبة... تمثل العضو المذكر، بينما تحتل الخزائن والعلب... محل العضو المؤنث"[4]. فالشرور التي ولدت من هذه العلاقات جعل الجنس صورة سلبية، في حين هي غريزة إنسانية، تحافظ على كينونة البشرية واستمراريته.

موضوع الجنس تجاوز الرواية العربية ليكون موضوعا بارزا في الرواية الغربية فهو، "لم يظل كما كان قبل فلورنس Fleurance، فقد كان موضوع الجنس وسيلة لتخلص المجتمع من عقده المتراكمة، وظروفه القاسية في المجتمع الغربي، لكنه لم يكن أبدا بالنسبة للمجتمع العربي الذي ظل ينظر إلى ثقافة الجنس نظرة معادية تحمل الكثير من الخوف والرهبة، والشوق والمعرفة الأكثر من جهة أخرى"[5]. فرغم اختلاف النظرة وتباينها حول موضوع الجنس إلا أنه يبقى، أكثر فأكثر، موضوعا للتوعية والتشويق والمعرفة.

10- التمرد في الكتابة :

[1] حفناوي بعلي، جماليات الرواية النسوية الجزائرية، تأنيث الكتابة وتأنيث بهاء المتخيل، م س، ص 379.
[2] سوسن أبرادشة، المحكي والممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص 41.
[3] سوسن أبرادشة، المحكي والممنوع في روايات فضيلة الفاروق ، ص 41.
[4] حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص 40.
[5] سوسن أبرادشة، م س، ص 171.

كانت الكاتبة جريئة في كتاباتها، فكانت لغتها مغايرة لما عرفه الأدب من قبل، إذ أنه تستوقف "المتتبع لتاريخ الكتابة النسوية عدة تساؤلات حول الكتابة الأنثوية الجزائرية من خلال التركيز على تحولاتها في العقد التسعيني، وما طال هذه التجارب من تغيرات، سواء على مستوى الشكل أم البنية أم الوعي، حيث أتت المرأة إلى اللغة بعد أن سيطر الرجل على كل الإمكانات اللغوية"[1]. فسيطرة الذكر أو الرجل لم تمنع المرأة الكاتبة من خلق لغة خاصة بها لتعبر عما تريد، وهذا ما فعلته "خالدة" للتعبير عما بداخلها، حيث تقول: "كانت كمنجة، وأمام كمنجة حالمة لا يمكننا سوى أن نحلم، سوى أن نكتب، ولهذا كتبت لك الكثير من الرسائل، كنت غريزة الكتابة "[2]. تعد الكتابة عندها المفرّ الوحيد للخروج من دوامة السيطرة والصمت المفروضين عليها.

بعد الاطلاع على رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، وتطرقنا إلى أهم مظاهر تمرد الفتاة فيها منذ صغرها، بدءا من عائلتها، وما كانت تعيشه من تهميش في وسطها، إلى تمردها على العادات والتقاليد القبلية، التي تخنق حرية المرأة الشخصية، تبين لنا أن المرأة التي اختارتها الكاتبة نموذجا أنثويا لروايتها، سعت لأن تخرج عن المألوف، لتبين ذاتها، وتتمرد على كل ما هو متعود عليه، وتجلى ذلك في شكل رسالة وجهتها إلى حبيبها، حيث تحدثت عن جانب الحب بكل جرأة، فاعتبرت ذلك خطوة مهمة للتحرر والتمرد. وتحدثت، إضافة إلى ذلك، عن الزواج والعادات الغريبة التي تمارس في الزواج التقليدي الذي يظلم المرأة بشكل كبير، سواء في اختيار شريك حياتها، أو ما تتعرض له من ظلم، بدءا من يوم زفافها، فاعتبرت الزواج سجنا مؤبدا، في حين يفترض أن يكون قفصا ذهبيا تعيش فيه المرأة بسعادة وحب واحترام.

ومن أهم ما تطرقت إليه الكاتبة أيضا فترة الإرهاب لما كانت صحافية، فتحدثت عن معاناة المرأة، وما تعرضت له من اغتصاب، وتهميش في المجتمع الذي اعتبرها عارا عليه، كما لو أنها اختارت أن تكون مغتصبة وتدمر حياتها بنفسها.

وتكلمت الكاتبة عن المسكوت عنه المتمثل في ثلاث نقاط تمردت عليها، وهي الدين، الجنس، والسياسة، وهو ما كان ولا يزال في خانة المحظور. وجدير بالذكر أن "هذه الممنوعات الثلاثة هي في حقيقة الأمر كل ما يمثل الوجود ويرسم حدوده ومعالمه، فلا يوجد في الأنشطة الإنسانية أو الفعاليات الاجتماعية أمر يخرج من هذا المثلث أو يخرج عن دائرة من إحدى هذه الدوائر الثلاث..."[3]. فهذه المواضيع الثلاثة قبل أن يكون الحديث عنها ممنوعا، هي أساسيات الحياة الإنسانية التي يجب على الكاتب بوجه خاص أن يسلط الضوء عليها ويعالجها في أدبه معالجة واعية.

[1] غنية بوضياف، كتابة الأنثى، أنوثة الكتابة، ص 2.
[2] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 13.
[3] سوسن أبرادشة، المحكي والممنوع في روايات فضيلة الفاروق ، ص 41.

كما كانت فضيلة الفاروق متمردة حتى في كتابتها وجريئة في لغتها، كتبت دون خوف أو تردد عن كل ما أرادت قوله، لكن هذا لا ينفي أنها وجدت بعض العوائق والحدود التي حدت من تمردها، فضيقت عليها المجال لتبلغ ذروة تمردها وقوتها، وتبرز ذاتها وتحدث اختلافا في المتعود عليه، سواء من عادات أو فكر أو غير ذلك، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث التالي من فصلنا هذا.

المبحث الثاني: حدود التمرد ومعوقاته:

لقد نقل لنا الأدب النسوي من خلال الرواية أحاسيس المرأة المكبوتة في أعماقها، والناتجة عن الضغوطات النفسية المختلفة التي عاشتها في المجتمع، بسبب الأوضاع المزرية التي تمر بها. ورغم تحسن حياتها مقارنة بالماضي، إلا أن حربها مازالت مستمرة، والغاية منها هو تحقيق رغبتها في المساواة وإفهام الناس بضرورة احترامها مثل الرجل.

وفي ظل هذا التحرر الفكري الذي تعيشه المرأة حاليا، أصبحت تبحث عن ذاتها أكثر، وترفض كل القوانين الصارمة التي تدوسها وتقلل من شأنها، وسميت هذه الخطوة بالتمرد، ولكن حتى التمرد لم يسمح لها بتجاوز بعض القوانين المقدسة من طرف المجتمع، فعانت من معيقات كثيرة سنتطرق إليها في مبحثنا هذا.

تحوي رواية "تاء الخجل" مظاهر كثيرة تدل على تمرد البطلة، ورفضها الصارم للظلم الذي فرضته عليها الحياة والعائلة، إذ أنها لم تقتنع بطريقة معاملة النساء، وهذا ما جعلها مختلفة عن بنات عائلتها، وقد تسبب لها ذلك في مشاكل كثيرة، ورغم تلك المشاكل لم تستسلم، بل أصبحت أكثر قوة، وهذه القوة أسهمت في بناء شخصيتها، والدفاع عن حقوقها التي أراد المجتمع انتزاعها منها، فلم تقبل حتى نساء العائلة ذلك الاختلاف المميز لسلوك شخصية "خالدة"، واعتبرن أن عفريتا يسكنها، ويجعلها تتصرف بتلك الطريقة المتمردة، حيث كان هذا تبريرهن الوحيد لشرح ذلك السلوك.

إن عنوان الرواية يدل على مضمونها، فنلاحظ حرف التاء المربوطة المرسومة على صفحة الغلاف الخارجي، وهي كبيرة نوعا ما، للتأكيد ربما بأن التاء مربوطة ومغلقة، لها حدود لا يمكن للمرأة تجاوزها. أما الخجل فهو شعور بالحياء الذي تربت عليه المرأة في المجتمع، ويظهر ذلك في صورة المرأة المرسومة المنحنية الرأس خجلا، ويكون هذا الخجل من دون سبب، حيث يجعلها هذا الشعور تعيش في خوف ولا أمن ورعب، والخوف يكون من الرجال والمجتمع وكلام الناس، فغالبا ما تمشي المرأة في استحياء لا سبب له، وكأنها ارتكبت جرما تخجل منه.

وتعتبر "خالدة" مختلفة عن غيرها، ففي المبحث الأول بيّنا بعض مظاهر تمردها، وفي مبحثنا هذا سنتطرق إلى حدود هذا التمرد، وأين يقف، والمعوقات التي تواجهه، في النقاط الآتية:

1 – سلطة المجتمع:

تؤثر سلطة المجتمع على تحرر المرأة، وغالبا ما تجعلها تعيش في خوف دائم وحرمان من الشعور بالحرية، فتعتبر المرأة المتمردة مكروهة في المجتمع، لعدم تقيدها

بقوانينه القاسية التي تفرض عليها العيش في مستنقع الدونية، تقول الكاتبة: "منذ الجواري والحريم، منذ الحروب التي تقوم من أجل مزيد من الغنائم، منهن إلي أنا، لا شيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع وانتهاك كرامة النساء"[1]. استهلت الكاتبة روايتها بهذا المقطع الذي يدل على مدى معاناة النساء منذ قرون، ولم يتغير شيء رغم مرور الزمن، عدا اختلاف وسائل القمع والتعذيب، فلطالما كان المجتمع سيدا على المرأة.

نلاحظ مدى حرص المرأة في الرواية على معرفة رأي المجتمع في كل خطوة تخطوها، ومحاولة عدم تجاوز تلك القوانين المفروضة. لكن شخصية "خالدة" كانت مختلفة، فقد تحدت هذه القوانين بكل ما استطاعت، دون الاكتراث بأحد من مجتمعها، وكانت ضد الوضع الذي تحملته المرأة ليرضى عنها المجتمع، ولكن نلاحظ أنها في آخر الرواية قررت الهروب من الوطن، لأنها مهما حاولت فلن تستطيع تغيير العقليات، فتقول بعد موت "يمينة": "لا مكان للإناث هنا إلا وهن نائمات"[2]. فالمجتمع لن يتوقف عن محاربة المرأة إلا عند موتها. ووصفت الوطن بالمقبرة بسبب القتل الذي يتعرض له الناس يوميا، فلم تغير "خالدة" شيئا فيه، لأنها كلما أرادت أن تبلغ شيئا أرجعتها سلطة المجتمع إلى نقطة الصفر، وهذا حال جميع النساء في الوطن العربي. وقرار الراوية في السفر كان نتيجة التعب والاستسلام بأنها لن تغير شيئا مهما حاولت، فربما ستحقق أحلامها في بلد آخر تغيب فيه العنصرية وتشجع المرأة وتحترمها.

يهتم علم النفس بمختلف القضايا الحساسة التي يعاني منها الإنسان يوميا، فهناك رغبات لا يمكن تحقيقها في المجتمع بسبب الخوف، أو بسبب الخجل أحيانا، "ففي أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ولما كان صعبا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لاشعوره فإنه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة"[3]. وما أدى بالبطلة إلى محاربة مجتمعها هي تلك المكبوتات التي بداخلها، والتي لم تجد كيف تحققها، فتمردت عليها، ولكنها لم تعرف بأن ذلك المجتمع سيكون عقبة في طريقها، فهو يقف دائما في طريق الأحلام والطموحات ويقتل الآمال، ولا يرحب بالفن، مثلما حدث مع "كنزة" صديقة "خالدة" التي اعتزلت المسرح بسبب سخرية الناس منها، فتقول: "عندنا فقط تعتزل المواهب قبل أن تبدأ"[4]، فتموت الموهبة قبل أن تكتشف بسبب النظرة السيئة إلى المرأة الفنانة كعاهرة، ومعاتبة أهلها لسماحهم لها بعرض نفسها أمام الجمهور وعلى مرأى من الرجال. وتقرر بعد ذلك الاستسلام والعودة إلى البيت الذي يعتبر سجنها الأبدي، وتختار الزواج الذي يعتبر الحل الوحيد المتبقي لديها، فتعيش بقية عمرها مسجونة خلف القضبان.

---

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 12
[2] م ن، ص 94
[3] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 22
[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 38

ولقد درس علم النفس الاجتماعي كل ما يخص المجتمع، وسيطرته على الناس، وعرفه "علي زيعور" بوصفه "دراسة التفاعلات الحاصلة بين الفرد والزُّمَرِ [الجماعات] التي ينتمي إليها"[1]، فهذا العلم يهتم بقضية الفرد مع مجتمعه، وكل التفاعلات التي تحصل بينهما، سواء الإيجابية أو السلبية، وقدم لنا "زيعور" مثالا، قال: "عندما أبدي رأيا، فهو يعكس من جهة المعلومات وسلالم القيم التي تلقيتها من وسطي الاجتماعي، لكن حادث الإفصاح عن ذلك الرأي يسهم في تغيير هذه المعلومات... ويمكن تصور مقدار ما يمكن أن تكون عليه الأواليات من تعقيد، بمقدار كون التفاعلات بين الأفراد وبين الجماعات لا تقبل الانفصال عن تلك الأواليات"[2]، فلا يقبل المجتمع أن يخرج فرد عن تقاليده التي تعود عليها، وهذا ما لاحظناه في شخصية "خالدة" التي كانت مختلفة منذ صغرها عن غيرها، حيث تبحث عن ذاتها دون الاهتمام برأي المجتمع، وهذا ما سبب لها مشاكل كثيرة، وتجلى ذلك في استياء المجتمع من رؤية المرأة عاملة في المسرح، وهذا ما يفسر رشق "كنزة" بالحجارة.

توصل العالم النفسي "إيزينك H.J Eysenck" إلى أن "الاتجاهات الاجتماعية تنتظم في عاملين: النزعة الراديكالية، النزعة المحافظة، ثم العنف/ اللطف"[3]، وهذا ما بينته لنا "فضيلة الفاروق" من خلال المجتمع المحافظ الذي يستعمل العنف ضد من يخترق قوانينه، والعنف لا يكون بالضرورة عنفا جسديا، فالعنف النفسي يعتبر أشد أنواع العنف.

يقسم علم النفس الحياة النفسية البشرية إلى ثلاثة أقسام: الأنا، الأنا الأعلى، والهو، "الأنا تكون شعورية، ... الذات العليا تتكون منذ الطفولة، فالطفل مثلا يزن الأمور ويقدرها حسب تقدير والده، أو من يعيش معه، ... الهو، ويرى فرويد أن هذا الجانب من أهم الجوانب في حياة الإنسان"[4]، فيمثل الأنا الأعلى مجموعة الأحكام والقرارات التي تربى عليها الفرد منذ صغره، ابتداءً من والده إلى العادات والتقاليد التي تتحكم في حياته، فـ "خالدة" تنتمي إلى مجتمع محافظ، وعائلة متمسكة بالتقاليد، ولكنها كانت مختلفة في تفكيرها، ومنطقها لم يقبل تلك الأشياء، فخرجت عن التقاليد التي تعتبر عائقا ظلت تتحكم فيها إلى أن جعلتها تستسلم.

قام علم النفس بتجربة لاستكشاف مدي تأثير رأي الأغلبية على الفرد، وذلك بعد ملاحظة تأثر الفرد بآراء الناس، حيث يجبرونه بطريقة غير مباشرة على تغيير رأيه بمجرد اكتشافه أن له رأيا مغايرا لهم، "وقد أطلق عالم النفس البولندي "سولمون آش" على تلك الظاهرة ضغط النظائر Peer Pressure بعد القيام بعدد من التجارب والدراسات التي أثبتت

[1] علي زيعور، علم النفس في ميادينه وطرائقه، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص 149.
[2] م ن، ص ن.
[3] م ن، ص 153.
[4] محمد صابل حمدان، قضايا النقد الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد (الأردن)، 1991، ص 97.

ميل الفرد لاتباع رأي الأغلبية"[1]. فالفرد لا يقتنع بقراراته الشخصية، ولا يأخذ أي قرار إلا بعد النظر إلى رأي الجماعة ليتأكد إذا ما كان قراره صحيحا، "ولقد أثبتت تجارب عدة لعلماء النفس اتباع أغلب الأفراد لما يعرف بثقافة القطيع، وهي القيام بفعل غير منطقي... لأن جميع من حوله يفعل ذلك في إثبات هذا التأثير البالغ للجماعة على الفرد والحد من استقلاليته"[2]، وبعد هذا التأثير تحس الجماعة بمدى قوتها وتمارس بعد ذلك سياسة الضغط على من يخالفها. فالضغط الاجتماعي يأتي بعد الإحساس بأن الفرد غير مقتنع بما تعود عليه من قرارات، فيبدأ المجتمع بالسخرية على ذلك الشخص، محاولا التأثير فيه لإفشال قراراته، وحتى لو لم يفعل ذلك فالحياة التي تعود عليها الناس منذ الصغر تجعلهم يخافون من ذلك، خاصة المواضيع المتعلقة بالحب، حيث كان الخجل من مواجهة المجتمع المتمسك بالدين سببا في فشل قصة حب "خالدة" التي عاشتها في صغرها، فلم يدم وقع ذلك بسبب الخوف من المجاهرة به أمام الناس، فتقول: "أعترف لك اليوم أنني كنت هشة حتى العظم، وأني هربت منك بعد أن أعياني الخجل لمواجهة الجميع بحبك"[3]. فرغم اشتهار البطلة بالتمرد ورفض قوانين الجماعة إلا إنها في موضوع الحب استسلمت، وقررت التخلي عن حبها لأنها تعرف عواقب ذلك، فالحب غير مسموح به وهو محظور في المجتمع، حيث تعوّد على ترسيخ فكرة أنها خطيئة بين الناس وذنب لا يغتفر.

ومن بين التجارب التي قام بها "سولمون آش Solmon Asch"، "تأثير الجماعة على الفرد، حيث قام صاحب التجربة بسؤال ثمانية من الطلاب المشاركين... وهو سؤال بسيط وسهل الملاحظة إلا أنه اتفق مع سبعة من المشاركين أن يتبنوا رأيا خاطئا... والنتيجة كانت أن الطالب المنفرد ساير الجماعة بأفكارها الخاطئة"[4]، ولعل انعدام الثقة بالنفس في اتخاذ القرارات المصيرية دليل على ضعف الشخصية، ولعل عدم التأكد من صحة القرارات المتخذة هو ما يستدعي البحث في آراء أخرى للتأكد من عدم الوقوع في خطأ، وحتى لو كانت الجماعة على خطأ فيتم اتباعها، لأن قرار الجماعة يكون الأقوى، كما حدث مع الطفلة "ريمة النجار"، التي اغتصبت من طرف رجل في الأربعين من عمره، داخل دكانه، حيث قام باستدراجها بتقديم الحلوى لها، ثم اغتصبها، ولم يقم أحد بإنقاذها، وبعد أيام سمع الناس أنها انتحرت، إذ رمت بنفسها فوق جسر، وبعد التحقيق في القضية، تبين أن والدها هو من رماها فوق ذلك الجسر خوفا من الفضيحة، "قال إنه خلصها من العار لأنها اغتصبت"[5]. فوالد "ريمة" لم يهتم بكون الضحية ابنته، بل رماها من فوق الجسر ليخلصها من العار، ذلك

[1] نقلا عن: طارق ضياء، سيكولوجية القطيع، https://www.noonpost.com، 25 مارس 2016، تاريخ الزيارة: 25 مارس 2019.
[2] م ن.
[3] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 34.
[4] نقلا عن: طارق ضياء، سيكولوجية القطيع.
[5] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 39.

أن المجتمع لن يرحمها، وستعيش حياة بائسة، وسيظل ماضيها يلاحقها ولن تعيش كبقية البنات، حيث تخلص من ابنته ليكون بطلا لدى مجتمعه.

تؤثر سلطة المجتمع على حرية الفرد عامة والمرأة خاصة، بسبب تعود الناس على اتباعها، والتمسك بالعادات، إذ تقوم بتجريد الفرد من عقله وتفكيره، ويترك الأعراف والتقاليد تقرر بدلا عنه، وهذا ما عبرت عنه "خالدة" في آخر الرواية عندما كانت تنتظر موعد رحلتها، حيث كانت بجوارها فتاة صغيرة متأففة، تقول إن لا شيء في هذا البلد غير القاذورات، ثم صرخت والدتها في وجهها فسكتت، تقول: "سكتت يمينة الصغيرة، كان يجب أن تصمت هي الأخرى بشكل ما، وأن تتعلم لغة الصمت منذ الآن، إنها عادة متوارثة عندنا"[1]. هذه الكلمات تدل على مدى تأسف البطلة من حال البنت التي ستجبر على السكوت طوال عمرها.

لقد أجبرت هذه القرارات "خالدة" على الاستسلام واختيار الرحيل والانسحاب، بعد نفاد صبرها في تغيير شيء من ذلك البلد، بسبب تخلف الفكر، والإجرام النفسي اليومي الذي تمارسه سلطة المجتمع على الناس، خاصة المرأة، حيث يعتبر ذلك أحد المعيقات في تحقيق نجاحها وطموحها، كما يعتبر أحد الحدود التي لا يجب تجاوزها بسبب عدم السماح لأحد بالخروج من العقائد المتوارثة والعادات المترسبة.

2- السلطة الذكورية:

يُعد رأي الرجل ذا تأثير كبير مقارنة برأي المرأة، فحتى في المحاكم لا تؤخذ شهادة امرأة واحدة ولا يتم قبولها، إلا إذا أضيفت إليها شهادة امرأة أخرى، فشهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد. وكل يوم تطبّق هذه القاعدة بدون أدنى اعتراض من النساء، لاقتناعهن بأنهن يأتين في المرتبة الثانية بعد الرجال، ذلك أن فكرة الأفضلية مزروعة منذ أزل في المجتمع العربي.

وقد أظهرت لنا رواية "تاء الخجل" مدى تسلط الرجال ومدى قوتهم، حيث استغل الرجال تلك السلطة الممنوحة لهم كسلاح لكسر المرأة، وتذكيرها بدونيتها في كل مرة، إذ يعتبرون أنفسهم كملوك على النساء، وتقوم العائلة على ترسيخ هذه الفكرة في عقول أبنائها وبناتها، فتعيش البنت مهمشة مستسلمة لمصيرها، والخوف لا يفارقها، والعكس حاصل بالنسبة إلى الرجال الذين يستمتعون بحريتهم، وكل شيء مباح لهم، فتكبر الأنثى على قناعة أنها تأتي خلف الرجل، ولا يحق لها أن تسبقه بأية خطوة، وأن تعيش مطيعة له وتكسب رضاه.

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 95.

ركزت رواية "تاء الخجل" على مدى قوة السلطة الذكورية، وتأثيرها على المرأة، ونفسيتها، إذ كانت عائلة "خالدة"، مثل باقي العائلات، تقدس الرجال، وكانت النساء خادمات لهم، ونلاحظ مدى تركيز الكاتبة على تأثير الرجال في النساء، ورفض البطلة لهذا الاستبداد الممارس ضدهن، وبعد أن أظهرنا في العنوان السابق مدى وقوف المجتمع في طريق المرأة، سنسعى لإظهار مقدار إعاقة السلطة الذكورية لتمردها.

نظر التحليل النفسي في مسألة مساواة المرأة مع الرجل، وعلى رأسهم "جاك لاكان Jaques Lacan" الذي يقول: "المرأة غير موجودة وهذه العبارة هي توصيف للنظام البطريكي (الذكوري)، الذي يقر أن الذكورية هي الموجودة وأن الأنوثة مجرد عارض لها"[1]. وهذا التفكير سائد في كل المجتمعات، يجعل المرأة مخلوقا ضعيفا، لا يقوى على مواجهة الرجل، وما هي إلا عارض له، وقد بينت لنا الكاتبة ذلك في الرواية قائلة: "سيدي ابراهيم هو الرجل السلطة في ذلك البيت"[2]. والملاحظ أن في كل عائلة يوجد رجل يكون هو الرئيس، ومقرر كل شيء فيه، وفي عائلة "خالدة" العم هو السلطة، فنلاحظ تدخل أعمامها في حياتها بسبب غياب والدها عن البيت، فذلك الغياب لم يخلصها من السلطة الذكورية، إذ يوجد رجال العائلة الذين وضعوها تحت المراقبة باستمرار، وتحملوا مسؤولية اتخاذ القرارات حولها.

ويضيف "جاك لاكان"، في معرض حديثه المعمق عن المرأة، بأن "المرأة كالحقيقة فلا وجود لكل المرأة، كما لا وجود لحقيقة كلية، المرأة بالنسبة للرجل فقط موضوع هوام (رغبة)"[3]. فيظهر "لاكان" حاجة الرجل إلى المرأة جنسيا فقط، وأن دورها يقتصر على تلبية رغبات الرجل، فوالد "خالدة" قرر التخلي عن والدتها وتزوج أخرى بسبب الرغبة في إنجاب الذكور التي لم تستطع زوجته الأولى تلبيتها، إذ أصبح يتغيب كثيرا عن البيت، ويهمل زوجته وابنته. تقول "خالدة" معبرة عن ذلك: "أما أمي فقد ظلت صامتة، وقد شعرت ببكائها يغمرها حتى الذقن، ولكنها صمدت من أجلي"[4]. وبذلك تمثل قرار الأم في التضحية بكرامتها، من أجل ابنتها، رغم معرفتها أن زوجها تركها من أجل أخرى، ولم يأخذ رأيها في ذلك، لأنه رجل، ويحق له فعل ما يشاء.

اعتبر مؤسس التحليل النفسي "سيغموند فرويد Sigmund Freud" أن المرأة في دعوتها إلى المساواة مع الرجل، تسعى لأن تكون مثله، وأنها في داخلها تتمنى لو أنها ولدت ذكرا، فحسب رأيه أن "لجوء المرأة إلى أعمال ومهن لا يحبذها الرجال كالخياطة والحياكة

---

[1] نقلا عن: محمد المشماش، المرأة بين تصوري جون ستيوارت مل وفرويد، الحوار المتمدن، العدد 4810، www.ahewar.org/debat/show.art، 18 ماي 2015، تاريخ الزيارة: 25 جوان 2019.

[2] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 17.

[3] نقلا عن: محمد المشماش، المرأة بين تصوري جون ستيوارت مل وفرويد.

[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 20.

والتطريز، معتبرا أن الدوافع لذلك هو نسج شبكة حول العضو الجنسي لإخفاء معالم النقصان، وما يفسر رغبة الفتاة في حصولها على فتى أحلام أو زوج يشبه الأب هو تعلق الفتاة بالأب"[1]. وتفسير هذا أن المرأة، على الأرجح، تكره فكرة كونها أنثى، وتتمنى لو كانت رجلا في داخلها، وتشغل نفسها بالأعمال اليدوية لإخفاء ضعفها أمامه. وإذا ما أخذنا برأي "فرويد" فإننا نجد أصداءه في روايتنا، عندما قالت "خالدة": "كثيرا ما تمنيت أن أكون صبيا"[2]، لإحساسها بذلك الفرق الذي وضع بينها هي وبنات العائلة وأولاد عمها. وكذا يتجلى ذلك لدى دخولها في العمل الإعلامي محاولة منها لإثبات قوتها وإخفاء ضعفها. تقول: "انغمست إلى جريدة الرأي الآخر المعارضة، التي كانت مزيجا من الإسلاميين والديمقراطيين والعلمانيين... كان ذلك قبل أن تمتد الخلافات السياسية بين الأحزاب فتصل إلينا، لنصبح مؤسسة من الأعداء، وتتحول مكاتبنا إلى مواقع حربية "[3]. إذ أن خطورة العمل في تلك الفترة لم تجعلها تستسلم في معركة إثبات ذاتها أمام الرجل.

لم يكن رأي التحليل النفسي مدافعا عن المرأة، بل على العكس فهو لم يشجع موقف المرأة في التحرر من السلطة الذكورية، "ويرى فرويد أن النساء أشباه الرجال لا يملكن حياة الرجال، ويحسدن الرجال بشكل دائم، وأنّ أناهن الأعلى قليل النمو، وهن كائنات عبثية لا نستطيع الاعتماد عليهن"[4]. وعدم الاعتماد على المرأة ناتج عن عدم الثقة بها وبمقدرتها على عمل شيء لم يتعود عليه الرجال، فتخرج بذلك عن سلطتهم، وقد ظهرت في الرواية رغبة "خالدة" في الالتحاق بالجامعة، ولكن عمها لم يسمح لها بذلك، إذ أراد التشويش على والدها، والتأكيد بأنها ستعود حاملا من الجامعة: "فكل بنات الجامعة يعدن حبالى فهل ستنتظر حتى تأتيك بالعار؟"[5].

إن تدخل رجال العائلة في حياة المرأة يفقدها حريتها ويمنعها من ممارسة رغباتها، وتحقيق أحلامها، فحياة المرأة ليست ملكا لها وحدها، وقد استغلت من طرف الرجل، وقد اعتبر "فرويد" المرأة مخلوقا ناعما يكون جمالها في رقتها، يقول: "أعتقد أن أي إصلاح للقانون، وللتربية لن ينجح لأن الطبيعة قبل أن يبلغ الرجل مكانة في المجتمع حددت مصير المرأة بأن وهبتها الجمال والرقة والنعومة... وقد منح القانون وتغيير العادات بعض ما تفقده المرأة، ولكن وضعها سيبقى على ما هو عليه"[6]. تبين لنا من هذه المقولة أن "فرويد" يشجع فكرة كون الرجل أقوى من المرأة، ويعتبر المساواة شيئا مستحيلا، فمهما حاولت المرأة أن تصنع حياتها، وتواجه الرجل، وتتمرد عليه، وعلى جبروته، ومهما حاولت الاستقلال منه،

---

[1] نقلا عن: محمد المشماش، المرأة بين تصوري جون ستيوارت مل وفرويد.
[2] فضيلة الفاروق، م س، ص 22.
[3] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 34.
[4] نقلا عن: حمدة خميس، المرأة في علم النفس الفرويدي، https://alittihad.ae/writerarticl e2237، 18 أفريل 2010، تاريخ الزيارة: 25 جوان 2019.
[5] فضيلة الفاروق، م س، ص 28.
[6] نقلا عن: حمدة خميس، المرأة في علم النفس الفرويدي.

أرجعتها سلطته إلى المكانة التي تعودت عليها، فلا تقوى على فعل شيء غير الاستسلام لمصيرها.

تعد شخصية "خالدة" أقوى مثال يبين لنا صحة رأي "فرويد"، بحيث حاربتها سلطة الرجل منذ صغرها وهي تحت رحمته، ورغم محاولاتها المتكررة لتكوّن شخصيتها المستقلة، وتكون مسؤولة عن نفسها، تجد سلطة الرجل واقفة في طريقها، فلا يمكن لوضع المرأة أن يتغير ما دامت تأتي في درجة ثانية.

فكانت هذه الرواية تصوير للدونية التي تتحملها المرأة يوميا، بسبب الرجل، وقد استهلت الكاتبة روايتها بمقطع يثبت ذلك: "منذ جدتي التي ظلت مشلولة نصف قرن من الزمن، إثر الضرب المبرح الذي تعرضت له من أخ زوجها وصفّقت له القبيلة، وأغمض القانون عنه عينيه"[1]. فسكوت الجدة عن الضرب الذي تتعرض له يوميا يبين درجة الخوف الشديد التي بلغتها النساء منذ زمن بعيد، وتعوّد تلك المرأة على العنف الممارس عليها على يد أخ زوجها الذي يبيح لنفسه ذلك، والمجتمع يسكت لأنه لا يتدخل في حياة المرأة عندما تعاني، ولا يدافع عنها عندما تتعرض للشتم، والرجم، ويقوم من هب ودب من الرجال بمحاسبتها على أصغر الأفعال. ولم تتغير هذه الصفة إلى يومنا هذا، فكثير من النساء يعانين في صمت، بسبب الفكرة السائدة التي تربين عليها في العائلة الداعية إلى السكوت والخجل الخوف...، فلم تسمح السلطة الذكورية للمرأة ببلوغ أهدافها، فما زالت أكبر مشاكل النساء سببها الرجال.

3- السلطة الدينية:

جاء الدين الإسلامي لهداية الناس، بعدما كانوا يعيشون في ظلمات، خاصة المرأة، فقد عانت من نبذ المجتمع الجاهلي لها، وتعرضت لأقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي في مختلف أنحاء العالم. فكانت آيات القرآن الكريم بمثابة منقذ لها ولحياتها، بعدما كانت تتعرض للوأد عند الولادة مباشرة. وأرجع الإسلام الاعتبار للنساء، وأقام لهن مكانة مرموقة في المجتمع رفقة الرجل، فأصبح من واجب الرجل التقيد بتلك الأوامر التي جاء بها الدين الإسلامي؛ ولكن، إلى حد الآن، بقيت المرأة كما كانت في السابق، بسبب عدم تقبلها في المجتمع والفهم الخاطئ للدين، الذي يدفع إلى عدها مخلوقا يجلب الشؤم، وعورة وجب تغطيتها، وفي هذا العنصر سنتناول رأي التحليل النفسي، وكيف يؤول معوقات تمرد المرأة وتحررها.

يعتبر الدين أمرا روحيا متوارثا عند الشعوب. يقول العالم النفسي "سيريل بيرت Cyril Burt": "الواقع أننا نأخذ ديانتنا من الجماعة التي نحيا بها، ونحن نستمدها من آبائنا

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 01.

ومدرسينا، ومن المعابد لتي نعتادها في بواكير الشباب... نحن نستمد ديانتنا أساسا من التقاليد"[1]، فقد وجدنا الدين في عائلاتنا وقد تم تلقيننا إياه وإقناعنا به، إذ يعلمه الوالد لابنه، لكي يبقى موجودا راسخا في ثقافتنا يتركه جيل ويجده آخر.

وعائلة "بني مقران"، مثل أغلبية العائلات الجزائرية، متمسكة بالدين والأعراف، وهذا راجع لكون عم البطلة "سيدي ابراهيم" رجل دين، وإمام مسجد، وهذه المهنة أكسبته شخصية قوية وسط أفراد العائلة، وهذا ما جعل هؤلاء يعينونه بدل غيره رئيسا على البيت وسيده، ففي منظورهم هو الأنسب لهذا المنصب، وقد عللت "خالدة" سبب عدم إنجاب عمها للأولاد بتمسكه الشديد بالدين، فتقول: "لقد كنت مقتنعة إلى أبعد حد أنهما لم ينجبا أطفالا لأنهما يعيشان مع بعضهما حياة الرهبان"[2]، فذلك التمسك الشديد بالدين في نظر الراوية هو السبب في عدم الإنجاب، بحيث يصعب عليه أن يعيش كغيره من الأزواج مع زوجته بسبب جديته الدائمة معها، خوفا من أن يفقد هيبته أمامها.

ونظرا لكون الدين متوارثا، سعى الناس للتمسك به بقوة، ولكن ذلك المفهوم الخاطئ له من طرف بعض رجال الدين المتعصبين الذين عمّموا أفكار خاطئة عنه، حرمت على الإنسان ممارسة حياته بشكل طبيعي، أو أن يبحث عن أشياء خارجة عن نطاقه، فهناك أسئلة كثيرة تطرح في عقل المرء حول الدين أو مواضيع محظورة، فقد تتملكه في ذلك شكوك، يقول "فرويد" في هذا الشأن: "فمما لا ريب فيه أن الكثيرين منهم ساورتهم عين الشكوك التي تساورنا الآن، لكن الضغط الذي كانوا يرزحون تحته كان أقوى من أن يجرأ على الإفصاح عنها"[3]. فالإنسان بطبعه فضولي، ورغم بقائه ساكتا، إلا أن أسئلة كثيرة تجوب في ذهنه، خاصة في الدين، يريد إجابات عنها، ولكن الخوف يمنعه من ذلك، الخوف الذي نشره في نفسه السابقون، كالخوف من النار والجحيم، هو ما يجعل الجميع يستسلمون.

ولهذا يعتبر ذلك الفهم الخاطئ للدين مسيطرا على حياة الناس، إذ يسيرهم بقوانينه كما يريد، مثلما حدث في المساجد في فترة الإرهاب، إذ تقول "خالدة" معبرة عن ذلك: "الناس هنا لا يخالفون ما تقوله المآذن، حتى حين قالت، اللهم زنّ بناتهم، قالوا آمين، حتى حين قالت، اللهم يتّم أولادهم، قالوا آمين، وفي حين قالت اللهم رمّل نسائهم قالوا آمين"[4]. كانت هذه الأدعية تلقى في المساجد في فترة العشرية السوداء، ومن شدة خوف الناس أصبحوا يقولون آمين ولم يعترضوا، فلقد تعودوا على تصديق أي شيء يلقى في المساجد بسبب الخوف المزروع في النفوس، والذي جاءت به الأديان في تأكيدها على الجحيم والعذاب بعد الموت، الخ.

---

[1] سيريل بيرت، علم النفس الديني، ترجمة، سمير عبده، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1970، ص 15.
[2] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 17.
[3] سيغموند فرويد، مستقبل وهم، ترجمة جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص 15.
[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 52.

يضيف "فرويد"، في حديثه عن أثر الدين في توجيه السلوك العام، أن "المذاهب الدينية لا تخضع لمقتضيات العقل والمنطق، بل تتعالى عليهما، وعليه فإن الإحساس بحقيقتها لا بد أن يكون داخليا، ... بيد أن قانون الإيمان هذا لا أهمية له إلا بقدر ما يكون عقيدة شخصية، أما بصفته مرسوما فإنه لا يلزم أحدا"[1]، فوجود الدين بغيّب العقل لأن الدين مجموعة من الأحكام والأوامر وجب على من يتبعها، قبولها وتطبيقها وعدم تغييرها، فيغيب المنطق والعقل فيه. ويرى "فرويد" أن التصديق يجب أن يكون من القلب (داخليا) لكي تحدث القناعة، فعند القيام بفعل بدافع الخوف، هذا يؤكد أنه إجباري، ولم يصدقه القلب والجوارح، بينما كل ما يقوم به الإنسان بدافع الإرادة يغيب فيه الخوف لأنه شيء اختاره بنفسه.

يدافع فرويد" عن العقل ويقول: "الحق أنه ليس ثمة سلطة تعلو على سلطة العقل، ولا حجة تسمو على حجته"[2]. فالعقل هبة من الله عز وجل، وقد خلقه للإنسان وميزه به عن غيره، والملاحظ أن معظم المتدينين يفسرون الدين على هواهم، تقول "خالدة": "الرجال يفصلون الإسلام على أذواقهم، فمن يعرف رحمة الإسلام من بين كل هؤلاء، لا أحد"[3]. وقد قالت ذلك بسبب الأحكام والقوانين التي تحبس المغتصبين مدة أقصر من القانون الفرنسي التي تصل إلى عشرين سنة.

ومن المعروف في المجتمع الإسلامي وجود فئة متعصبة تحرم الوقوع في الحب، نشرت عنه أفكار مفادها أنه من المحظور الذي يتنافى مع الدين، إلا إذا كان في إطار الزواج، إذ تربط الحب بالزواج، وغير ذلك تعتبره علاقة غير شرعية ومحرمة، وحتى في المجتمع لا يتم الاعتراف به بسبب اعتباره قضية شرف وخطيئة لا يجب الوقوع فيها، بالرغم من كونه شعورا لا إرادي، لاسيما عند النساء، حيث غالبا ما يتبعهن هاجس الخوف بدل الاعتراف به، أو الاعتراف بما يوجد في لا وعيهن، وقد عبر "فرويد" عن ذلك قائلا: "إن النساء مازلن يعانين منذ نعومة أظافرهن من قيد جلف قاس يحظر عليهن إعمال فكرهن بالمشكلات التي قد تنال منهم أعظم الاهتمامات"[4]. والشيء الذي لم يسمح لهن بذلك هو الخوف من التعبير بسبب تلقينهن كل ما هو ممنوع منذ الصغر.

لم تعترف "خالدة" لأحد بقصة الحب التي عاشتها منذ سن الرابعة عشر، فقد أبقت على ذلك الحب في نفسها، ولم تنسه، رغم بلوغها الثلاثين من عمرها، بقي في داخلها، وإذا ما فسرنا ذلك من المنظور النفسي، نقول إن ذلك الحب بقي في مكبوتا، ولم يخرج نتيجة التمسك بالتقاليد، ولكن "خالدة" عبرت عنه، على الصعيد النفسي، عن طريق الكتابة، فبقيت

[1] سيغموند فرويد، مستقبل وهم، م س، ص 38.
[2] م ن، ص ن.
[3] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 55.
[4] سيغموند فرويد، مستقبل وهم، ص 66.

تتذكر كل تفاصيله، ولم تنس شيئا يتعلق به، وأدى بها ذلك الاشتياق إلى التخيل الذي لا تحده أي حدود، إذ لا أحد يمكن له الدخول في مخيلة الآخر.

ربط "فرويد" التخيل بالعاطفة، مؤكدا أن "التصورات لا تكبت إلا لارتباطها بتفريقات عاطفية يفترض فيها أن لا تتم، والأصح أن نقول أن الكبت يطال المشاعر، والعواطف لا يمكن أن تدرك إلا بارتباطها بتصورات"[1]. فكل تلك التصورات والتخيلات ناتجة عن النفس والعاطفة، وأحيانا أخرى يؤدي إلى الحلم الذي فسره أيضا "فرويد" تفسيرا نفسيا، فيرى أن "الحلم والهذيان ينبعان من مصدر واحد: من المكبوت، بل لعله يجوز لنا القول أن الحلم هو الهذيان الفيزيولوجي للإنسان السّويّ"[2]، فكل ما لا يحققه الإنسان في حياته من رغبات يراها في منامه بسبب تمنيه الشديد لتحقيقها. تقول "خالدة": "فتحت نوافذي في ليلتها على ساحة من الأحلام... وجدتك كما أنت، على الطريق المخترقة للحقول، أمام متوسطة البشير الابراهيمي"[3]. فقد طال انتظارها أملا في رؤية حبيبها وهذا ما دفعها للقائه في الحلم.

وقد اعتبرت البطلة الحب أسوء ما قد يحدث للإنسان في مجتمعها: "في قسنطينة كل شيء جميل إلا الحب"[4]، والشيء الذي يجعله مؤلما هو الفراق، فلا تنجح قصص الحب لأن الفراق هو مصيرها، فـ "خالدة"، مثلها مثل أية فتاة أخرى، لم تستطع الوصول إلى أحلامها، بسبب المشاكل والعراقيل التي اعترضتها، وأبرزها عقبة السلطة الدينية.

4- الإرهاب:

عانت الجزائر سنوات عدة من الخوف والرعب بعد انتشار الإرهاب، فكانت الحياة في تلك الفترة أشبه بالجحيم، قتل فيها الكثير من الناس، فكان عدد القتلى يزداد يوميا، وقد جاء الإرهاب بأحكام، باسم الدين، تدعو إلى القتل والانتقام، حيث كان ضد تحرر المرأة، وقد عانت الراوية رعبا لن ينسى كونها مستهدفة مثل غيرها من النساء في تلك الفترة: "سنة العار... سنة 1994، التي شهدت اغتيال 151 امرأة، واختطاف 12 امرأة من الوسط الريفي المعدم... ثم ابتداء من 1995 أصبح الخطف والاغتصاب إستراتيجية حربية "[5]. فقد ركز الإرهاب على النساء، فكانت أكثر الناس استهدافا، أصبحن يخفن من الخروج، وحتى إذا بقين في البيوت يتعرضن للاختطاف أمام أهلهن، وهناك أمثلة مقدمة عن ذلك في رواية فضيلة الفاروق.

---

[1] سيغموند فرويد، الهذيان والأحلام في الفن، ترجمة جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص 55.
[2] م ن، ص 70.
[3] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 40.
[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 13.
[5] م ن، ص 36.

يتميز الإرهاب بالعدوانية الذي فسره التحليل النفسي أنه "أساس لمنطلق السلوك الإرهابي"[1]، وهذه الصفة التي يتميز بها تجعله يرى الناس أعداء له، وهذا راجع إلى مشاكل نفسية في الإرهابي تستدعي العلاج، ويقترح العالم النفسي "إيبسا جاشا Ipsa Jasha"، طرق علاج أهمها التنويم المغناطيسي، يقول: "ليتم بالتالي علاجها وفق طرق عديدة، منها العلاج السلوكي، أو علاج التحليل النفسي، أو العلاج بالتنويم المغناطيسي، أو حتى بالحوار، ومنها الحوار الديني المستنير"[2]، ذلك أن هذا التطرف الذي يتميز به الإرهابي ذو دوافع نفسية نتجت عن الكبت الذي يخفيه في نفسه منذ صغره، وهذا يؤدي إلى خلق مشاكل نفسية تستدعي العلاج عن طريق الحوار.

ويرى "فرويد" في هذا الشأن أن "التنويم كان عونا كبيرا في العلاج بالتطهير، بإفساحه مجال الوعي لدى المريض وبما يمكن له من معرفة لا تتيسر له في يقظته"[3]، فالتنويم المغناطيسي يساعد المريض على تذكر أصغر التفاصيل التي يمكن أن ينساها في وعيه، لذلك اعتبر العلاج المناسب للعدوانية.

وبعد الاختبارات التي قام بها "إيبسا جاشا"، وجد عشر مستويات لمتلازمة العدوانية، يقول: "هي مجموع معاناة لمواقف وسلوك يهدف أو ينتج الأضرار بالآخرين أو إلحاق الأذى بالنفس، ومتلازمة العدوانية تحتوي أيضا على دافع العدوانية والإدراكية وغير إدراكية الموجهة للآخرين، من قبل الفرد أو ذاته"[4]. فيتميز الإرهابي بلاوعيه وكرهه الشديد للنفس والغير، وهذا ما يدفعه إلى ارتكاب جرائم القتل والاغتصاب بدم بارد، ولا يهتم حتى بنفسه لأنه يقوم بمهمات انتحارية يضحي فيها بنفسه.

تقول "خالدة" مصورة المدى الذي بلغته الجماعات الإرهابية، لاسيما في إلحاق الأذى بالنساء: "أعلنت الجماعات الإسلامية المسلحة (GIA)... أنها قد وسعت دائرة معركتها للانتصار للشرف بقتل نسائهم، ... بقتل أمهات وأخوات وبنات الزنادقة اللواتي يقطنّ تحت سقف بيتهنّ واللواتي يمنحن المأوى لهؤلاء..."[5]. نلاحظ من خلال هذا المقطع تركيز الجماعات المسلحة على الانتقام ممّن يحاربونها، عن طريق النساء، فقد كنّ أكبر ضحايا الإرهاب، وأصبحن وسائل للانتقام من كل من يقف في طريقها.

أصبح الخوف والرعب يرافق النساء والرجال، واعتبرت "خالدة" هذه الفترة كالسجن، وهو ما جاء في المقطع الآتي: "جاءت هذه السنوات متلاحقة لتصنع سجني الذي لم

---

[1] نقلا عن: حافظ سيف فاضل، الإرهاب من المنظور النفسي، الحوار المتمدن، www.alhewar.org/debat/show ، 5 جوان 2004، تاريخ الزيارة: 27 جوان 2019.

[2] نقلا عن: حافظ سيف فاضل، الإرهاب من المنظور النفسي.

[3] سيغموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيعور، عبد المنعم المليحي، دار المعارف، بيروت، 1994، ص 48.

[4] نقلا عن: حافظ سيف فاضل، الإرهاب من المنطور النفسي.

[5] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 36.

أتوقعه، سجني الانفرادي داخل وطن مليء بالقضبان"[1]، حيث كان الخوف يسيطر على حريتها، فأصبح صعبا عليها ممارسة تمردها مثلما تعودت. وتضيف: "لم تعد أسوار العائلة هي التي تستفز طير الحرية في داخلي للهروب، صار الوطن كله مثيرا لتلك الرغبة... صرت أخطط للهروب"[2]. فالحالة التي آل إليها الوطن تشبه السجن، أو قفص له أسوار تمنعها من العبور خارجه.

وبالإضافة إلى الخلل النفسي الذي يخلفه الإرهاب في حياة النساء، عانين أيضا من حملة تشويه سمعتهن من طرف المجتمع الذي يرفض تقبلهن بينه، إذ لا يصدق أنهن اختطفن، زاعما أنهن اتجهن بمحض إرادتهن إلى معاقل الإرهاب. قال الطبيب لـ "خالدة": "قال لي أحد الضباط أنه من الصعب التأكد ما إذا كانت الفتيات خطفن أو أنهن التحقن بمحض إرادتهن بالإرهابيين في الجبال "[3]. حيث كان من الصعب حتى على العائلات قبول تلك النساء بسبب الكلام المنتشر عنهن، وقد تم التخلي عنهن بسبب الإحساس بالعار، كما حدث مع "يمينة"، حينما قالت لـ "خالدة": "أخبرني الضابط أن أهلي رفضوا استقبالي من جديد... أنكر في البداية أن له بنتا"[4]. وقد أدى إنكار الأهل للعديد من الضحايا إلى الانتحار بسبب عدم إيجاد ملجأ بعدهم.

انظم العديد من الشبان إلى الإرهاب، وتم بذلك استغلال صغر سنهم، "فنلاحظ أن غالبية الأفراد الذين أضحوا إرهابيين أو منفذي لعمليات انتحارية... تتشكل في أغلبها من الفئة العمرية 15-22 سنة، أي أنه يمر من مرحلتي المراهقة والرشد والتي تمتد عمليا من سن البلوغ إلى سن الرشد أو سن الشباب"[5]. فتستغل فئة الشباب المراهقة لإدخالها في العمل الإرهابي، ذلك أن سن المراهقة، أصعب مرحلة يمر بها الإنسان حيث لا يستطيع التفريق بين الأشياء، ويعيش تذبذبا في حياته، وعدم استقرار في عواطفه، فيتم تهيئته وتدريبه وتعويده لذلك الأمر، "وتلعب كثير من الأفكار والتوجهات المتطرفة العقائدية أو الإيديولوجية على استمالة هذه الفئة العمرية لإدراكها المسبق بسلالة تمديد الفكرة في لبّ ووجدان الشباب التوافق بغريزته إلى المغامرة والشطح"[6]. وباعتبار الشباب يميلون إلى حب المغامرة، فمن السهل استدراجهم، وقد ذكرت "يمينة" أن من بين الذين قاموا باختطافها ابن جيرانهم، تقول: "أحدهم كان من أبناء الجيران، التفت إليه والدي، فبصق عليه ابن الجيران، فسكت والدي

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 36.
[2] م ن، ص 37.
[3] م ن، ص 67.
[4] م ن، ص 74.
[5] نقلا عن: حافظ سيف فاضل، الإرهاب من المنظور النفسي.
[6] م ن.

خوفا من الأسلحة المصوبة نحوه"[1]. لقد كان مقدار الرعب الذي عاشته العائلة كبيرا جدا، لأن الجار لم يبالي بكونه يعرف أفرادها، ولم يحترم والد "يمينة"، كجار وكإنسان يكبره سنا.

ويفسر التحليل النفسي كيفية انحراف الشباب في العمل الإرهابي مبينا أن "العدوانية هي أساس المنطلق، والتي كان لها وجود أصلا غريزي بنوعها وبقياسها، ونسبتها تختلف من مراهق أو شاب إلى آخر"[2]، فهذه العدوانية تكون موجودة في غرائز هؤلاء الشباب، ولكن تختلف شدتها من شخص إلى آخر، "تنشئ علاقة وطيدة تبادلية بين الإيديولوجية والشاب (المؤدلج) والإيديولوجية الدينية مركبة من التطرف وعدم تقبل الآخر، بمساهمة الفتوى التكفيرية، ومفهوم أنا وجماعتي على صواب والآخرين على خطأ، نحن في الجنة وهم في النار"[3]. يتم بذلك تلقينهم أحكاما دينية خاطئة متعصبة، تدعو إلى سفك الدماء، والاستشهاد في سبيل الله.

لقد كان الإرهاب كابوسا عاشته الجزائر في تلك الفترة، وبالأخص النساء، فـ "خالدة"، رغم قوة شخصيتها إلا أن الخوف لم يفارقها، وبقي الإرهاب من أكبر كوابيسها، واستسلمت بعدها لضعفها، وقررت السفر والخروج من الوطن.

كانت المرأة وما زالت رمزا للقوة في المجتمع، ومن خلال هذه الرواية التي درسناها، اكتشفنا مدى قوة شخصية "خالدة"، وسعيها لمواجهة كل من يحاربها. تعلمنا من خلالها كيف تكسب المرأة احترام غيرها، وكيف تجعل من نفسها شخصية قوية، عبر التسلح بالعلم، والتمسك بالأحلام والقرارات، بغض النظر عن نظرة المجتمع المتدنية إليها وإلى غيرها، فـ "خالدة" درست في الجامعة التي اختارتها، ودرست الفرع الذي اختارته، ولكن بالرغم من محاربتها الأعراف إلا أنها استسلمت في الأخير، لأن صبرها انتهى في مجتمع تفكيره متخلف، وعائلة متمسكة بالدين. علاوة على الإرهاب الذي كان أبشع كوابيسها، فقررت بسبب هذا التخلي عن رغباتها والتضحية بها، لأن المرأة مهما تمردت تحدها حدود لا يقبل منها تجاوزها في المجتمع، مثل الدين الذي لم تتحمل أن يفسره كل شخص على هواه.

فكانت هذه الظروف سببا لاستسلامها للواقع، حينما قالت: " كنت مشروع أنثى ولم أصبح أنثى تماما بسبب الظروف، كنت مشروع كاتبة ولم أصبح كذلك إلا حين خسرت الإنسانية إلى الأبد، كنت مشروع حياة ولم أحقق من ذلك المشروع سوى عشره "[4]. فالظروف كانت أقوى من رغباتها، وكان موت "يمينة" محطما لها، لتصف الوطن كله بالمقبرة.

---

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 76.
[2] نقلا عن: حافظ سيف فاضل، الإرهاب من المنظور النفسي.
[3] نقلا عن: حافظ سيف فاضل، الإرهاب من المنطور النفسي.
[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 15.

ركزت الرواية النسوية على تصوير أوضاع المرأة المختلفة، بحيث تستمد مواضيعها من الواقع المعاش، فكان ذلك الواقع مصدرا للإبداع الذي أوصلته الكاتبات إلى القراء، بطرق مختلفة، ما أسهم في تطور هذا النوع من الأدب، وبذلك أصبح له مكانة رفيعة. وكانت رواية "تاء الخجل" مثالا لذلك، حيث كانت مواضيعها مستمدة من الواقع الذي تعيشه المرأة، والمشاكل التي تواجهها في حياتها. ومن خلال بحثنا، توصلنا إلى النتائج التالية:

- جاء الأدب النسوي ليلغي السلطة الذكورية، ويرجع للمرأة اعتبارها، ويؤكد ذاتها.
- اتخذت المرأة العربية الكتابة النسوية سبيلا لكسر الحاجز الذي قيد حريتها لسنين.
- تأخرت الرواية النسوية، في الجزائر، في الظهور لأسباب تاريخية، أدبية، واجتماعية.
- عالجت المرأة في روايتها قضايا حساسة يمكن تعدادها في الحب، والحديث بجرأة عن الجسد، رغم عادات المجتمع المحافظ وتقاليده، وكذا موضوع العنف الذي عانت منه المرأة لقرون، وهي تيمة تغلب على الرواية النسوية عامة.
- يعود تمرد المرأة في رواية "تاء الخجل" على الأوضاع الاجتماعية إلى رفضها للعادات القديمة السائدة التي تحد من حريتها وتزيد من احتقارها، وقد تناولت "فضيلة الفاروق" مواضيع كان مسكوتا عنها في المجتمع من قبل، وبذلك تحدت الأعراف، ودخلت في مسائل حساسة كالدين، والسياسة، والجنس.
- يقوم التحدي في رواية "تاء الخجل" على العلم والدراسة اللذين يعدان السبيلين الوحيدين لتكوين شخصية متحررة قوية، وهذا ما يسهم في اعتقاد "فضيلة الفاروق" في تطوير الوعي الفكري لدى المرأة.
- للتمرد حدود لا تـ سـ تطـ يع المرأة تجاوزها، مثل الدين والمجتمع.
- يؤثر المجتمع على الفرد نفسيا، ويتدخل في قراراته، ما يؤدي به لاتباع رأي الجماعة دون تفكير، وهذا ما سماه العلم النفسي بـ "ثقافة القطيع".
- لم يشجع العلم النفسي دعوة المرأة إلى المساواة، حيث اعتبرها مخلوقا ناعما لا يقوى على مواجهة الرجل.
- اعتبر المحللون النفسيون قضية الدين غير متعلقة بالعقل، وإنما موروث اجتماعي، يجده الفرد في عائلته، ويعلمه لأولاده، وأن العقل والدين شيئان مختلفان في منظور التحليل النفسي.
- يتم إدخال الشباب المراهقين إلى الإرهاب لامتياز هذه الفئة بحب المغامرة، فيتم بذلك استغلالهم، بتلقينهم أحكام دينية تدعو إلى القتل.

تعتبر رواية "تاء الخجل" تصويرا للواقع المعاش في الجزائر، في فترة العشرية السوداء، وهي المرحلة التي تحققت فيها للرواية النسوية الجزائرية السمات الفنية والنوعية، وبرز اسم "فضيلة الفاروق" وعملها الأدبي في الساحة الأدبية الوطنية والعربية.

قائمة المصادر والمراجع

- المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

الكتب:

1. أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ط5، دار الآداب، بيروت، 1998.
2. ، الأسود يليق بك، دار نوفل للنشر، بيروت، 2012.
3. إقبال رشيد صالح الحمداني، الاغتراب، التمرد قلق المستقبل، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2011.
4. الأخضر بن السائح، سرد الجسد وغواية اللغة (قراءة في حركية السرد الأنثوي، وتجربة المعنى)، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2001.
5. آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المتخلف، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011.
6. باديس فوغالي، التجربة القصصية النسائية في الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، الجزائر، 2002.
7. بثينة شعبان، مئة عام من الرواية النسائية العربية، ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 1999.
8. حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2008.
9. حفناوي بعلي، جماليات الرواية النسوية، تأنيث الكتابة، وتـأنيث بهاء المتخيل، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.
10. زهور كرام، الكتابة النسائية، أفق مفتوح التنوع، الكتابة النسوية، التلقي، الخطاب والتمثلات، ط1، 2010.
11. زهور ونيسي، من يوميات مدرسة حرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
12. سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة: أحمد الشامي، ط1، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2002.
13. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الرمز، السرد، التبشير)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997.
14. ، قضايا الرواية العربية الجديدة، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، 2012.
15. سيريل بيرت، علم النفس الديني، ترجمة: سمير عبده، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1970.

16. سيغموند فرويد، الهذيان والأحلام في الفن، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978.
17. ، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة: جورج طرابيشي، ترجمة: مصطفى زيعور، عبد المنعم المليحي، دار المعارف، بيروت، 1994.

18. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، دار الشروق للنشر والطباعة والتوزيع، بسكرة، الجزائر، 2009.

19. عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006.

20. علي زيعور، علم النفس في ميادينه وطرائقه، عز الدين للطباعة والتوزيع، عمان، الأردن، 1993.

21. فريدة ابراهيم موسى، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية. دراسة نقدية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012.

22. فضيلة الفاروق، تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2003.
23. ، اكتشاف الشهوة، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2006.
24. ، مزاج مراهقة، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2007.

25. محمد أحرز، عن ميشال فوكو، شعرية الكتابة والجسد، دراسة حول الوعي والشعرية، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2005.

26. محمد فوزي، أدب المرأة، أدب الأظافر الطويلة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1987.

27. محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988.

28. محمد يحياتن، مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

29. نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004.

30. نوال السعداوي، مذكرات طبيبة، ط2، دار المعارف، القاهرة، 2004.

31. يوسف وغليسي، خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوي الجزائري، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

32. ، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

الجرائد والمجلات:

1. الأخضر بن السائح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد4، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، جانفي 2019.
2. سامية داودي، ميخائيل باختين، الرواية مشروع غير منجز، مجلة الخطاب، العدد13، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2013.
3. علي زغينة، صالح مفقودة، علي عالية، السرد النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، مجلة الأبحاث في اللغة والأبحاث الجزائري، العدد1، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2004.
4. صالح مفقودة، المرأة الثورية في الرواية الجزائرية. (لونجة والغول) لزهور ونيسي أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، العدد2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2002.
5. عامر رضا، الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية بقسم الآداب والفلسفة، العدد15، جامعة ميلة، الجزائر، جانفي 2016.
6. غنية بوضياف، كتابة الأنثى وأنوثة الكتابة "أحلام مستغانمي أنموذجا"، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد9، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2011.
7. نصر صبح القيق، التمرد النفسي وعلاقته بالإنتاج الإبداعي لدى الفنان التشكيلي الفلسطيني، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، المجلد7، العدد2، فلسطين، يونيو 2017.

القواميس والمعاجم:

1. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، 1986.
2. ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مجلد3، مادة: مَرَدَ، ط1، دار صادر، بيروت، 1990.
3. أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، الجزء4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
4. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.

5. جيرارد برنس، قاموس السرديات، ترجمة: السيّد إمام، ط1، ميريت للنشر والتوزيع، مصر، 2003.
6. سعيد علوش، معجم المصطلحات المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
7. مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
8. محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي- عربي، ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 2003.

المذكرات والرسائل الجامعية:

1. سوسن أبرداشة، المحكي والممنوع في روايات فضيلة الفاروق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، خير الدين دعيش، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف2، الجزائر، 2014.
2. عبد الله ركاب، شعرية الكتابة الروائية النسائية الجزائرية المعاصرة، مذكرة دكتوراه، إشراف د.أ فاتح حمبلي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2016.
3. محمد قاسم سفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في الفلسفة، إشراف، الدكتور إبراهيم طه، جامعة حيفا، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، حيفا، فلسطين، تشرين الثاني 2006.
4. مروة ضياء، مها رحيم حسن، نور أحمد حسن، التمرد النفسي، بحث لنيل شهادة الباكالوريوس في الإرشاد الفني والتوجيه التربوي، إشراف، صفاء حسين، جامعة القادسية، كلية التربية للبنات، قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، العراق، 2018.

المداخلات:

. أبو طارق محمد العربي، الملتقى الوطني حول طفاح المرأة الجزائرية، مطبوعات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عنابة، الجزائر، 10 جويلية 1990.

1. المراجع الإلكترونية:

1. حازم مطر، نظرية التمرد الاجتماعي، جريدة العالم الحر، https://www.3alamfree.com، 07-04-2019، تاريخ الزيارة: 20-05-2019.
2. حافظ سيف فاضل، الإرهاب من المنظور النفسي، الحوار المتمدن، www.alhewar.org/debat/show، 05-04-2004، تاريخ الزيارة: 27-06-2019.

3. حمدة خميس، المرأة في علم النفس الفرويدي، https://alittihad.ae/writerarticle2237، 18-04-2010، تاريخ الزيارة: 25-06-2019.
4. سارة حسين، في الأدب النسوي، موقع ديوان العرب، https://mawqi3diwanelarab.com، 2016، تاريخ الزيارة: 29 ماي 2019.
5. صبحة علقم، كتابة المرأة في مجتمع أبوي، https://aldjadeedmagazine.com، 01-09-2018، تاريخ الزيارة: 20-04-2019.
6. طارق ضياء، سيكولوجية القطيع، https://www.noonpost.com، 25-03-2016، تاريخ الزيارة: 26-06-2019.
7. محمد المشماش، المرأة بين تصوري جون ستسوارت مل وفرويد، الحوار المتمدن، العدد 4810، www.alhewar.org/debat/show.art، 18-05-2015، تاريخ الزيارة: 30-06-2018.
8. ميساء الخواجا، الخطاب النسائي في ظل هيمنة الذكورة، www.alhayat.com، 27-10-2014، تاريخ الزيارة: 23-05-2019.

فهرس المحتويات

مقدمة..... 01

مدخل.....05

الفصل الأول: الرواية النسوية الجزائرية مقوماتها وخصوصياتها.....13

المبحث الأول: سمات الرواية النسوية الجزائرية.....14

1. النشأة والتطور.....14
   أ. عند الغرب.....14
   ب. عند العرب.....16
2. عوامل تأخر الأدب النسوي الجزائري.....19
3. سمات الرواية النسوية الجزائرية.....21
   أ. المرأة والآخر (الاستعمار).....21
   ب. المرأة والحب.....22
   ت. المرأة والجسد.....22
   ث. العنف والإبداع النسوي الجزائري.....23
   ج. الذات الأنثوية والبحث عن الهوية.....24

المبحث الثاني: الرواية وتصوير الوضع الأنثوي.....28

1. تعريف الرواية.....28
2. تعريف الكتابة النسوية.....30
3. المسكوت عنه في الرواية النسوية.....33
   أ. تابو الدين.....33
   ب. تابو الجنس.....34
   ت. تابو السياسة.....34
4. تصوير الرواية الجزائرية للوضع الأنثوي.....35
   أ. تصوير المرأة الثورية.....35
   ب. تصوير المرأة المتعلمة.....37
   ت. تصوير المرأة العاملة.....38
   ث. تصوير المرأة المراهقة.....40
   ج. تصوير المرأة المطلقة.....42
   ح. تصوير المرأة المغتصبة.....44

الفصل الثاني: صور التمرد الأنثوي ومداه في رواية "تاء الخجل" لـ "فضيلة الفاروق".....46

المبحث الأول: مظاهر التمرد في رواية "تاء الخجل".....48

1. التمرد على العادات والتقاليد.....49
2. التمرد على رجال العائلة.....50
3. التمرد على عادات الزواج.....51
4. التمرد على الدين.....52
5. التمرد على السياسة.....53
6. التمرد في العمل.....54
7. التمرد على الأنوثة.....55
8. التمرد في الحب.....55
9. التمرد في الجنس.....56
10. التمرد في الكتابة.....57

المبحث الثاني: حدود التمرد ومعوقاته.....60

1. سلطة المجتمع.....61
2. السلطة الذكورية.....66
3. السلطة الدينية.....70
4. الإرهاب.....75

خاتمة.....80

قائمة المصادر والمراجع.....83

فهرس المحتويات.....90

يعالج هذا البحث الموسوم بـ "خطاب التمرد الأنثوي، ملامحه وحدوده" في رواية "تاء الخجل"، موضوع التمرد في أكثر روايات "فضيلة الفاروق" شهرة، وينصب الاهتمام على مظاهر التمرد وحدّه في الرواية، من خلال فصلين اثنين يعالج الأول "سمات الرواية النسوية الجزائرية"، ويبحث الثاني في "صور التمرد الأنثوي ومداه في رواية تاء الخجل لـ فضيلة الفاروق".